

وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ

الاقليم السوري

الجامع الايوبي

في دِمَشق

وَصَفَ وَتَأَرَّجَ

مِنْ تَأَلِيفِ

عَلِيِّ الطَّنْطَاوِيِّ

الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله ، وعلى سائر
رسل الله وأنبيائه •

اللهم منك العون ، وعليك الاتكال ، ولا حول ولا قوة الا بالله •



وبعد ، فإن من دأبي كلما ازدحمت علي المتاعب ، وركبني الهموم ،
وضاق صدري ، وانقبض قلبي ، أن أمشي حتى أجد مسجدا خاليا ،
فأدخله فأصلي ركعتين ، وأقعد ، أشعر بسكون المسجد من حولي ،
وبجلال الحق من فوقني ، حتى أجد الطمأنينة والرضا ، كأني نجوت من
البحر الهائج الى الجزيرة الآمنة • وتركت الصحراء المحرقة الى الواحة
الظليلة ، وكأن ما كنت فيه من المشاكل ، وما كان في صدري من
الهموم ، قد ذهب كله ، لما دخلت حمى الله وصرت في بيته واعتصمت به
من الناس وشرورهم ، ومن نفسي وسوءها ، ومن الشيطان ووسواسه •

واذا كان العرف الدولي على أن ييوت سفراء الدول الاجنبية قطع
من بلادهم ولو كانت في بلاد الناس ، فإن ييوت الله رياض من رياض
الجنة ، وان كانت في هذه الدنيا ، فمن دخلها كان ضيف الله ، وكان
جاره • فهي أبواب السماء المفتحة دائما ان سدت في وجه البائسين
اليائسين أبواب الارض ، وهي منار الهدى ان ضل بالسالكين الطريق ،
ان كان في الدنيا الخير والشر ، فهانذا الخير الذي لا شر معه ، وان كان
فيها الحق والباطل ، فهانذا الحق الذي لا باطل فيه •

ومن هنا تخرج الكلمة من أفواه الخطباء والمدرسين فتمشي في الفضاء ، من فوق رؤوس الملوك والكبراء ، والاعنياء والاقوياء ، كل يخضع لها ويصغي اليها ، لأنها كلمة الخالق ، وان جاءت على ألسنة ناس من المخلوقين •

هذه قلاع الايمان في وجه الالحاد ،

هذه حصون الفضيلة ، أمام الرذائل والشهوات •

والمسجد هو المعبد في الاسلام ، وهو البرلمان ، وهو المدرسة ، وهو النادي ، وهو المحكمة •

هو (المعبد) : يدع المسلمون أحقادهم ومطامعهم وشرورهم وفسادهم على الباب ، ويدخلون اليه بقلوب متفتحة للايمان ، متطلعة الى السماء ، متحلية بالخشوع ، ثم يقومون صفا واحدا ، يستوي فيه الكبير والصغير ، والامير والحقير ، والغني والفقير ، أقدامهم متراسة ، وأكتافهم متزاحمة وجباههم جميعا على الارض ، يستوون في شرف العبودية ، وفي شرعة العبادة ••

وهو (البرلمان) ما دهم المسلمون أمر ، ولا عرض لهم عارض ، الا نوذي : (الصلاة جامعة) فاجتمع الشعب في المسجد ففي المسجد يكون انتخاب الخليفة ، وفيه تكون البيعة ، وفيه تبحث القوانين ، تستمد من الشرع ثم تعلن فيه على الناس •

وهو (النادي) ، ان قدم أمير بلداً كان أول ما يدخله من البلد المسجد ، على منبره يعلن سياسته ، ويذيع منهاجه ، وان كانت حرب ، عقدت الرايات في المسجد ، وليس في الاسلام حروب هجومية ، لمجرد

الفتح والاستعمار والكسب ، بل فيه الحرب الدفاعية فقط ، حرب الدفاع عن العقيدة ، أن يمنع أحد مسيرها ، وعن أصحابها أن يحول أحد بينهم وبين قيامهم بفرض الدعوة اليها ، انهم مكلفون بحمل المصباح الذي أضيء من غار حراء ، لينوروا به الدنيا ، ويبددوا به الظلام عن أهلها فاذا انبرى لهم من يحاول اطفاء المصباح ، ومن يريد منع نور الله أن يصل الى عبادته ، حاربوه حتى يفيء ويرجع ، فان فاء ورجع الى الحق كان واحدا منهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وان أبى الا عنادا فحارب فغلب على أمره ، لم يكرهوه على الاسلام ، ولم يكلفوه شططا ، ولم يحمّلوه الا ضريبة محدودة ، هي تكاليف الدفاع الذي يتولونه هم وحدهم . ضريبة هي أشبه بـ (البذل العسكري) ، يدفعه المغلوبون من أموالهم ، ويدفع المسلمون الغالبون ضريبة الجهاد من أرواحهم .

والمسجد هو (المدرسة) ، وفي المساجد وضعت أسس الثقافة الاسلامية ، وفيها ارتفعت ذراها ، وشيدت صروحها . وكان يدرس في المسجد كل علم ينفع الناس . من علوم القرآن ، وعلوم السنة ، وعلوم الشريعة ، وعلوم اللسان ، وعلوم سنن الله في الاكوان . وكل علم تحتاج اليه الامة الاسلامية يكون تعلمه فرض كفاية في نظر الاسلام ، حتى الكيمياء والفيزياء والرياضيات . ونجد بعد ذلك من تبلغ به الجهالة ، أن يَصمِّمَ بالجمود ديناً يجعل تعلم الكيمياء فرضاً كفروض العبادات .

والمسجد هو (المحكمة) . وعلى بسط المساجد وأمام أعمدتها وأساطينها ، أصدرت أعدل الاحكام ، وأجرؤها ، وفيها سطرت أروع صفحات القضاء البشري ، ولطالما أقام القضاء فيها الجمال والحمال

مع أمير المؤمنين (١) ، والاجير والفقير مع الامير الكبير (٢) ، ثم حكموا له عليه ، لا يبالون مع الحق صغيرا ولا كبيرا .

ولقد تشرفت فزرت آلافا من المساجد ، في الداني والقاصي من بلاد الاسلام ، عامرها ودائرها ، فرأيت المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الاقصى ، والازهر المعمور ، ومسجد أبي حنيفة والجيلاني في بغداد ، وابن طولون والمتوكل ، في القاهرة وسراً من رأى ، وآثار مسجدي الكوفة والبصرة ، والمسجدين العظيمين : المسجد الجامع في دهلي ، وآثار مسجد قوة الاسلام في دهلي القديمة ، ومساجد الملايا وجاوه ، فما رأيت فيها كلها بعد المساجد الثلاثة التي ميزها الله ، وجعل الصلاة فيها أفضل بدرجات ، مسجدا هو أقدم قدما ، وأفخم مظهرا ، وأجمل عمارة ، وأحلى في العين منظرا ، من الجامع الاموي في دمشق .

كان مدرسة دمشق ، فيه الحلقات يدرس فيها كل علم ، وكان النادي يجتمع فيه الناس كلما دهم البلد خطب ، وكان الاموي في عهد نشأتنا الاولى لب دمشق ، فكانت الدار القريبة هي القرية من الاموي ، والبعيدة هي البعيدة عن الاموي ، وكانت الارض الغالية هي التي جاورت الاموي ، وكان الاموي ملعبنا ونحن أطفال ، ثم كان مدرستنا الثانية ونحن طلاب ، ندخله اذا انصرفنا من المدرسة فنصلي فيه ، ونقف على حلقاته ، وما كان يخلو وقت فيه من حلقتين أو أكثر وكنا نتبوء مقاعدنا

(١) منها دعوى الجمال على أمير المؤمنين المنصور امام قاضي مكة .

(٢) ومنها دعوى المرأة على عيسى بن موسى أكبر أمراء البيت العباسي ووالي العراق امام القاضي شريك .

في بعضها ، نأخذ الفقه والحديث واللغة والنحو ، وكنا نؤمته في عشايا الصيف مع آبائنا ، نتخذ من صحنه متنزها وأنسا ، وكنا نؤمه في ليالي الشتاء نتخذ من حرمه ملجأ وأمنا ، وكان الاموي مثابة الجهاد الوطني على عهد الانتداب ، فيه تلقى الخطب ، وفيه تعد المظاهرات ، ومنه تسري روح النضال في الناس ، فكان للدين والدنيا ، وللعبادة والعلم ، ولكل ما فيه رضا الله ونفع الناس ، وكذلك يكون المسجد في الاسلام .

وأكثر ما كثر عليه تردادي ، واتصل به حبلي ، لما كنت في المدرسة الجقمقية ، ثم لما صرت من بعد في مكتب عنبر ، واولعت من أيام الجقمقية (سنة ١٩١٩م) بأن أثقل كل خبر أجده عن الاموي ، واستمر ذلك أكثر من أربعين سنة ، من تلك الايام الى الآن ، فاجتمع لي من الاوراق والجذاذات والمذكرات ما يملأ درجا كبيرا وكنت كلما عزمت على تصفيته ، واخراجه في كتاب ، تعاظمني الامر فتهيئته ، وقد جمعت كل ما وجدته عنه في ابن عساكر والدارس ومحاسن الشام ، ومسالك الابصار ، والبداية والنهاية ، والروضتين وذيله ، وشذرات الذهب ومعجم البلدان ، والنجوم الزاهرة ، وتاريخ ابن القلانسي ، والسلوك للمقريري ، وكتب ابن طولون ، وما كتبه القاسمي وبدران . ورأيت بعض الرسائل المخطوطة ، وكتبا اخرى لا أريد الآن احصاءها .

وكنت كلما تقادم العهد ، ازدادت هذه الاوراق كثرة ، وازددت لها نهيبا ، حتى اذا صح مني العزم قليلا ، استخرجت سلسلة الاحاديث التي كنت حدثت بها من اذاعة دمشق عن الاموي من سنين ثم تركتها ، فلما طلبت مني المديرية العامة للاوقاف ، أن أكتب شيئا عن الاموي ، يكون

كالدليل للسائح ، استخرجت منها هذه الخلاصة التي أقدمها اليوم ، ولم أعز كل خبر فيه اعتمادا على أنني سأخرج ان شاء الله الكتاب الكبير عن الاموي ، وكل خبر فيه معزو الى مصدره ، ولأني جرت في كتابي عن أبي بكر وعمر أن أذكر كل مصدر ، وأعين الطبعة من الكتاب والجزء والصفحة ، فأخذت من (أكبر) كتابنا ومؤلفينا ما فيهما ولم يشيرا اليهما ، وإدعيا أنهما أخذتا من الاصول التي نقلت منها •

وأنا أسأل الله التوفيق ، وأن يجعلنا من المخلصين •

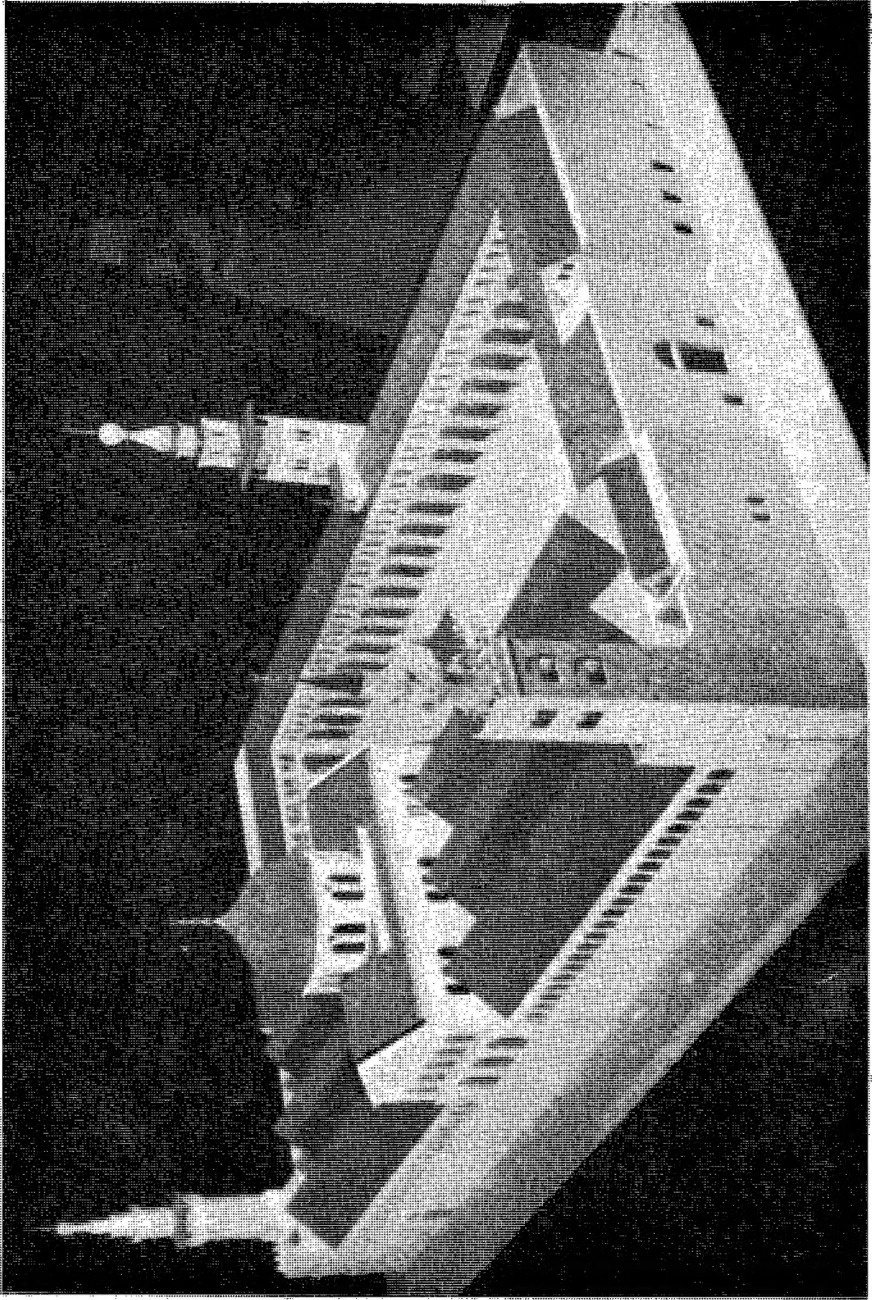
دمشق : ٤ رمضان ١٣٧٩

١ آذار ١٩٦٠

عالي الطنطاوي

مستشار جامعة القاهرة في البرورج لغيره الخ

* * *



هیکل مصغر الاموي

حياة الأموي

لكل موجود (ان حققت) حياة : الجبال والانهار ، والمدن والعمارات ،
كلها حية تولد وتموت ، وتشب وتهرم ، وتصح وتمرض •

هذا الاموي الذي جئت اعرض عليكم خطوطا من صورته ، وملامح
من تاريخه ، له حياة طويلة ، ولحياته تاريخ طويل •

تاريخ لا يدري الا ببعضه التاريخ ، لأن الاموي ولد قبل ان يكتب
التاريخ •

لا نعرف ولا يعرف أحد من الذي وضع الحجر الاول فيه ، ولا متى
شيد ، فكأنه قام ليصل الازل بالابد •

صارع النار والدمار ، وثبت على الادهار والاعصار ، تكسرت على
جدرانه موجات القرون كما تتكسر الامواج على صخرة الشاطئ ، ثم
تردد عنه ميتة وهو حي قائم •

ذهبت أمية بمالها وسلطانها ، ولبت وحده يخلد في الدنيا اسم أمية ،
فكان ابقى من كل ما نالت أمية من مال ومن سلطان •

كان معبدا من أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، تداولته أيدي اليونان
والرومان وأقوام كلانوا قبلهم ، ثم صار للمسيح ، ثم انتهى لمحمد •

كنيسة صارت الى مسجد هدية السيد للسيد (١)

(١) البيت لشوقي •

صلى الله على سيدنا المسيح ، وعلى سيدنا محمد خاتم الانبياء الذي
نسخت شريعته الشرائع وعلى كل نبي أرسله الله بالهدى والتوحيد والدين
القيم ، لا تفرق بين أحد من رسله ، تؤمن بكل نبي بعثه الله على ما بعث
عليه ، وكل كتاب أنزله الله على ما نزل عليه ، ونقول كل من عند ربنا
ونحن له مسلمون .



ولد المسجد ليلة الفتح ، حين شرف الله الشام وأراد لها الخير ،
فاستظلت براية القرآن ، واتبعت داعي الله وسلكت الطريق الموصل (إن شاء
الله) الى الجنة ، ثم شب واكتهل ، ونما واكمل ، على عهد الوليد ، يوم
كانت دمشق تفرح في جنة من غرس محمد ، وتنعم هائلة بالامن والرخاء
في فيء الصرح الذي شاده محمد ، حين كانت الليالي أعراس ، والايام
أفراح ، والدنيا ترقص ابتهاجا وتميس من السرور .

هنالك كان الاموي يتبوأ في دمشق سدة ملك . قد لبس الفسيفساء ،
وتحلى بالذهب ، وتسربل بستر الوشي والديباج ، وقاه على كل بناء
في الارض .

ثم أراه الزمان من حلوه ومره ، ومن نعيمه وبؤسه ما يثري كل
(حي) في الوجود .

ولست أستطيع أن أعرض عليكم تاريخ الاموي ، يوما بيوم ، فلقد
كانت تتعاوره الايدي دائما : أيدي المصائب والبغاة ، بالخراب والدمار ،
وأيدي المصلحين بالعمارة والاصلاح ، حتى غدا وفي كل شبر منه تاريخ ،
وصار كفسيفسائه ، كل قطعة منه من طبيعة ومن لون . ولكل يوم من
حياته الطويلة قصة !

ومن كانت له دار يسكنها هو ، وسكنها ابوه من قبله خمسين سنة،
يتعهدا فيها بالاصلاح والتجديد ، لم يستطع أن يحدد تاريخ كل باب
فيها وكل جدار ، فكيف بالاموي وهو من ألف وثلاثمئة سنة عرضة
للاصلاح والتجديد •

بقي الاموي على صفته الاولى (التي ستقرؤها بعد صفحات) أو
على قريب منها نحو من أربعمئة سنة ، أي الى سنة ٤٦١ حين نشب فيه
الحريق العظيم ، فنسخ آيات حسنة ، وطمس وجهه جماله ، وصيره تلالا
من التراب ، وبقي على ذلك أربع عشرة سنة الى سنة ٤٧٥ حين جدد بأمر
ملكشاه السلجوقي •

ثم تتالت عليه الزلازل والحرائق على ما سيأتي تفصيله ، ولم يكن
عمل البشر في صحن المسجد أقل من عمل الطبيعة^(١) فلقد انتابه الاهمال
مرة حتى صار كأنه خان أو فندق ، وامتأ صحنه باللاجئين والمقيمين وصار
الرجل يجد لنفسه موزعا فيه يضع فيه حاجاته وصندوقه ، ويقيم على
نفسه مقصورة أو كوخا ، ويستقر فيه ، وبلغ ما فيه من هذه المقاصير أكثر
من ثلاثمئة ، واتخذ فيه الامراء حواصل ومستودعات ، وبقي ذلك مدة
لا يعرف مقدارها حتى جاء الملك الظاهر ، فكان من بداية اصلاحاته أن
طرد هؤلاء الناس ، ونظفه وغسل رخامه ، وفرشه وأعاد مسجدا
للعادة والعلم •

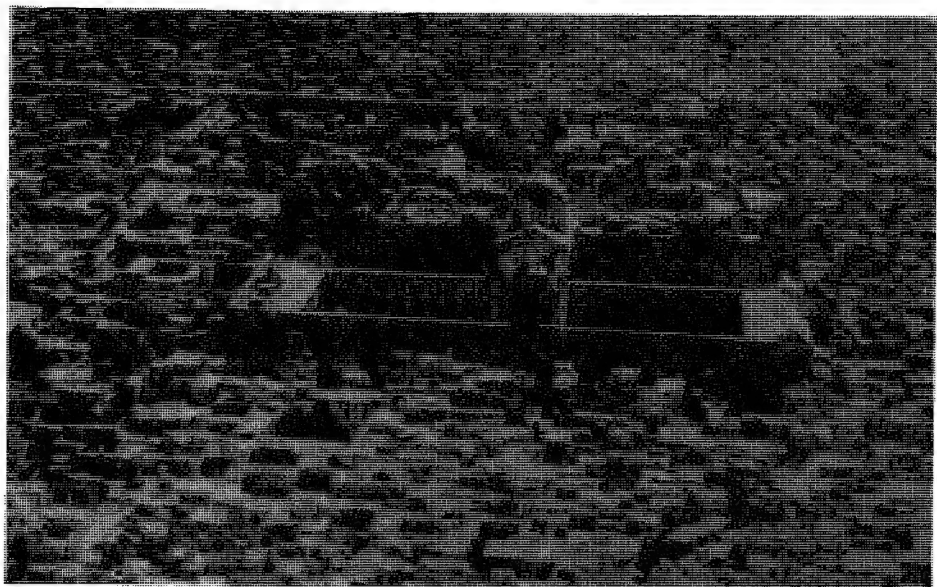
(١) الطبيعة (فعيلة) بمعنى مفعولة - والذي طبعها وأجرها على سنتها
هو الله خالق كل شيء •

وعبث به التتر والمغول مرتين ، مرة في أواخر القرن السابع الهجري ،
اذ عطلوه واتخذوه معسكرا لهم • ونصبوا فيه المنجنقات لرمي القلعة ،
وارتكبوا فيه أنواع الاثم والفجور •

ومرة على عهد تيمورلنك الذي أساء الى دمشق اساءة لم يأت
مثلها أحد •

ثم كان الحريق الاخير سنة ١٣١١ الذي ذهب بالمسجد كله (أي الحرم)
وجدده أهل الشام وفيما يلي من الفصول ، بعض التفصيل لهذا الاجمال •





منظر الاموي من الطيارة



مئذنة العروس (وهي المئذنة الرئيسية) مع الرواق الشمالي
ومنظر المدينة من وراء المسجد

جولة في الأموي

تعالوا أولاً ، نلم بالمسجد كله بنظرة واحدة ، أكون أنا فيها دليلكم ، أصفه لكم بأجمال وإيجاز ، ثم أعود في الفصول التالية ، فأفصل ما أجملته ، واسهب فيما أوجزته •

سور والدهاليز

نحن الآن في باب البريد ، أترون هذه القنطرة وهذه الأعمدة الكبار ؟ هذه بقايا أعمدة السور الخارجي للمعبد ، والكتابات التي تبدو عليها كتابات محدثة من عهد المماليك •

أما قناطر السور الداخلي ، فترون بقايا ركائزها لاصقات بالجدران على طرفي باب المسجد •

وكان لكل باب من الأبواب الأربعة دهليز ، وأعظمها دهليز الباب الشرقي ، ثم الباب الغربي (وهو هذا) ثم الباب الشمالي ، ولا تزال آثار ذلك كله واضحة ، ولا تزال بقايا أعمدة الدهليز الشرقي وأعمدته الكبار ماثلة قد غطتها الدكاكين •

وقد بقيت هذه الدهاليز إلى القرن السادس وترون وصفها فيما كتبه ابن جبير وأثبتناه في آخر هذا البحث •

مداخل الأموي

وهذه الدكاكين التي تشوه منظر الجامع في السوق الضيق من هنا ، وفي

القباقية من هناك ، كان الأمراء يمنعون أمثالها حرمة للاموي ، وقد صدر الامر سنة ٦٤٧ هـ بهدمها كلها . وكانت عنايتهم بمدخل الاموي وما حوله كعنايتهم به نفسه ، ففي سنة ٦١٠ أمر الملك العادل بوضع سلاسل في أيام الجمع على الطريق المؤدية الى الجامع كيلا تصل الدواب اليه ، كالسلسلة الممدودة الآن على مدخل سوق الحميدية ، في موضع باب النصر الذي كان أحد أبواب دمشق^(١) .

وفي سنة ٦٦٣ بلط الطريق من باب الجامع الى القناة التي كانت عند درجات المسكية التي ازيلت من نحو اربعين سنة ونحن نعرفها ، وعمل الى جانبها القبلي بركة وشاذروان (الشاذروان معناه عندهم لسان من البناء يتدفق منه الماء أو نحو ذلك ولا يزال يستعمل بهذا المعنى في الحجاز والكلمة فارسية الاصل) وغطيت الساقية التي كانت هناك ، وجعل للبركة أنابيب يجري فيها الماء الى الجهة المقابلة ، وسحب ماؤها من نهر قنوات لينتفع بها الناس عند انقطاع ماء نهر باناس (باناس) .

ولقد خبرني ناظر الجامع الشيخ حمدي الحلبي أن تلك الساقية لا تزال موجودة ولكنها مغطاة وهي تمر تحت بيت الخطابة .

النوفرة :

وكان من عنايتهم بتجميل مداخل الاموي ، أن أقيمت الفوارة (النوفرة) أسفل درج المسجد عند باب جيرون . وقد أنشئت سنة ٤١٦ وجرء اليها الماء من نهر قنوات ظاهر قصر حجاج (نسبة للحجاج بن الوليد بن عبد الملك)

(١) (رآه ابن جبير وذكره في رحلته واندثر من عهد بعيد) ومن المصادفات غير المقصودة أن سمي الشارع المقابل له بشارع النصر وهو أول شارع حديث في دمشق فتحه جمال باشا سنة ١٩١٦ .

فوصل إليها الماء ليلة الجمعة ٧ ربيع الأول ٤١٧ ، وكان القائم بإنشائها
القاضي حمزة الحسيني ناظر الجامع .
وسقطت سنة ٤٥٧ من جمال احتكت بها فأعيد انشاؤها . ثم
سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين (النوفرة) وباب الساعات في
سنة ٥٦١ وكان حريقا عظيما وأعيد بناؤها .
وفي سنة ٥١٤ أقيم عليها شاذروان .
وفي سنة ٦٠٧ تخربت فاصلحت وجدد الشاذروان والبركة وبنى
أمامها المسجد وجعل له امام راتب .
وفي سنة ٨١٤ بيض شاذروان الفوارة وأعيد جري الماء فيها بعدما
انقطع أمدا .

أبواب الأموي

وللمسجد ستة ابواب .
هذا الباب الذي تقف عليه الآن وهو باب البريد وهو كما ترون ثلاثة
ابواب ، باب كبير في الوسط ، وبابان على جنبه ، وكان ثاني الباين
الرئيسيين للمعبد .
أما الباب الرئيسي الاول فهو باب جيرون المقابل له وعرف بعد القرن
الخامس بباب الساعات وباب اللبادين وهو مثله في ثلاثة ابواب ويسمى
الآن باب النوفرة . وقوسه لا يزال كما كان من القديم . وقد بقي باب
المعبد الاصلي وهو من خشب الصنوبر البالغ المتانة ، وكان مصفحا
بالنحاس ، له مسامير كبار بارزة الى حريق سنة ٧٥٣ فتشوه وأثر فيه
الحريق فنقل الى خزانة الحاصل (أي الى المستودع) ثم فقد . وقدر
المؤرخون عمر هذا الباب حين الحريق بأكثر من الف سنة .

ثم الباب المسدود الآن وهو وراء المحراب وله باب كبير في

الوسط وصغيران على الجانبين وكان يدخل معاوية والخلفاء من الاوسط فلما بنى الوليد المسجد وأزال الكنيسة صار الخلفاء يدخلون من الباب الاصغر على يسار المحراب •

والباب القبلي هو الذي كان يعرف باب الزيادة وكان يسمى باب الساعات ثم انتقل هذا الاسم الى باب جيرون لأن الساعات نقلت اليه ، ويسمى الآن باب القوافين •

وباب الناطقائين وهو باب الفراديس ويسمى الآن باب العمارة •

والباب المحدث الى مدرسة الكلاسة •

وفي سنة ٦٠٧ جدد باب البريد (أي الابواب الثلاثة) وركبت عليها صفائح النحاس الاصفر • وجدده الملك الظاهر كذلك سنة ٦٧٣ •

وفي سنة ٧١٩ حليت الابواب وحسنت • كان قد سد البابان الصغيران من الباب الشرقي (باب جيرون) بعد حادثة تيمورلنك وبنيت دكاكين في رحبة الجامع فهدمت أول سنة ٨٢٠ • وركب البابان الصغيران الغربيان سنة ٨١٩ • والبابان الشرقيان سنة ٨٢٠ • وقد جددت صفائح النحاس على الابواب حديثا (١) •

خلع النعال

ولنخلع الآن النعال ولندخل •

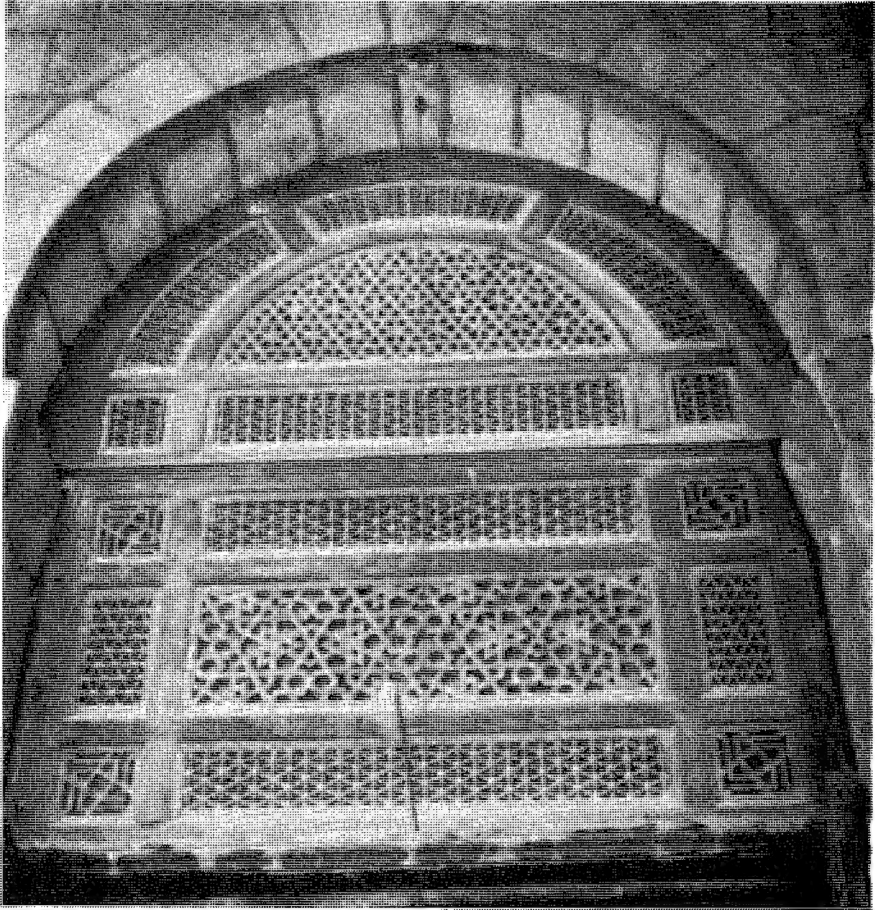
وكان الدخول الى المساجد في أول الاسلام بالنعال ، لان الارض في الحجاز جافة والمساجد غير مفروشة وكذلك كان يدخل الى صحن الاموي ، كما يظهر ، وفي ربيع الآخر سنة ٨٢٧ فوض النظر على الجامع الى امامه الحنفي ، وهو رجل مصري يقال له تقي الدين العمادي ، فألزم الناس ألا

(١) انظر الفصل الملحق بهذا الكتاب •

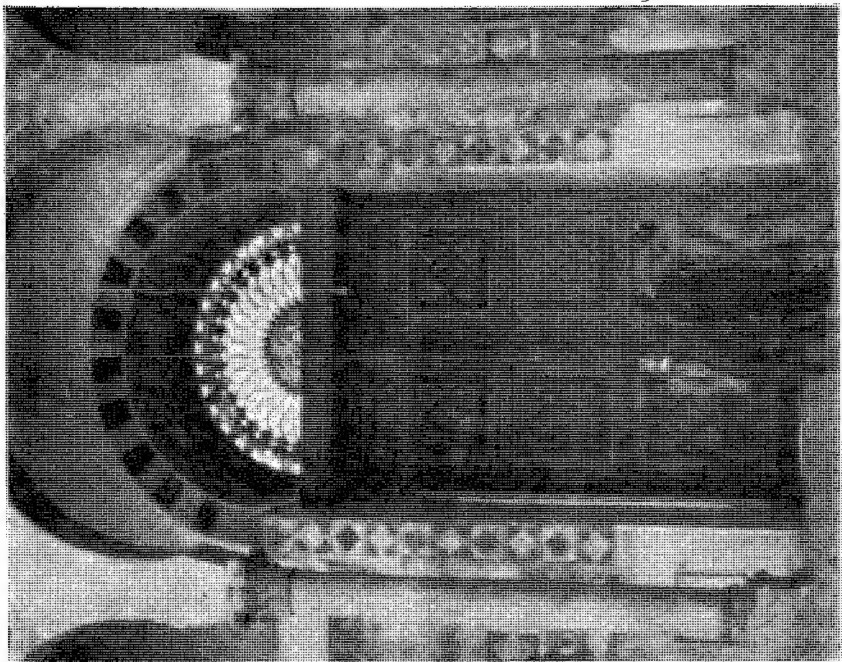
يمشوا في الصحن الاحفأة ، فشق ذلك عليهم ، ولكنه أصر وعمل على
الابواب درايزينات وحواجز لخلع النعال وبقي ذلك الى شوال من تلك
السنة ، ثم عزل العمادي ، وعاد الناس الى ماكانوا عليه •

وفي سنة ٧٢٢ لما جدد المسجد بعد حادثة التتار ، منع ناظر الجامع ابن
المرحل (وهو محمد بن عمر العثماني) الدخول بالنعال ، بأمر نائب الشام
تنكز • وفي شعبان سنة ٨١٦ سمح بالمشي فيه بالنعال • ثم منع ذلك في
وقت من الاوقات ، واستمر المنع الى الآن •

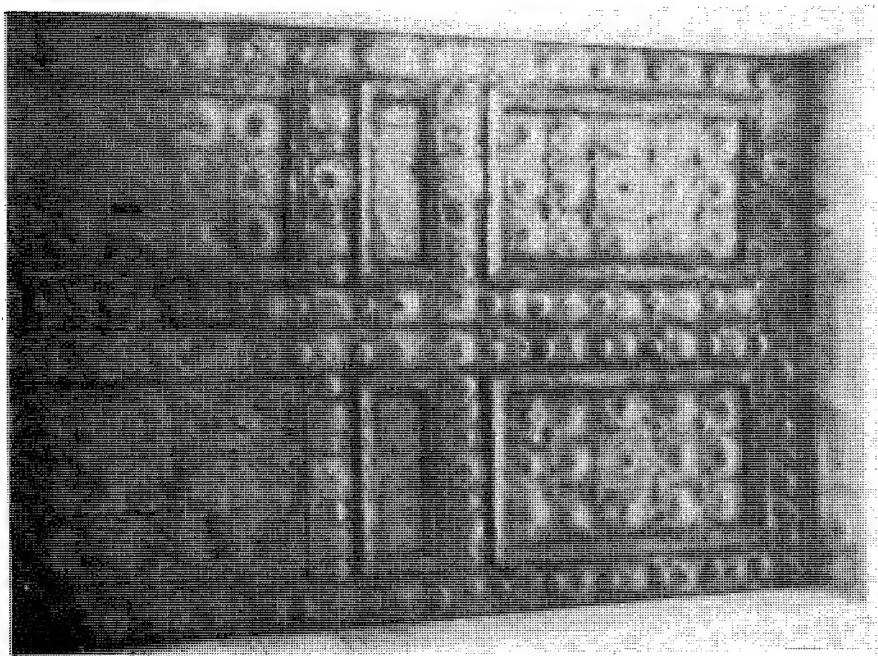




تیجان أبواب الحرم



باب البريد من الداخل



صفائح الابواب

في صحن الأموي

لقد دخلنا من باب البريد ، نحن بين بايين على اليمين وعلى اليسار ،
لندخل من اليسار ، هذه القاعة الكبيرة التي اتخذتها دائرة الاوقاف
للاستقبال هي مشهد عثمان .

والمشاهد مساجد صغيرة ملحقة بالجامع كان لكل منها امام خاص .

فاذا خرجنا منه ، وجدنا بعده بابا لغرفة واسعة ، وكانت تسمى قديما
بيت الزيت الغربي ، وكانت (كما هي اليوم) مستودعا للمسجد .

فاذا صرنا في زاوية الرواق ، وجدنا آثار غرفة ، كانت هناك قديما هي
زاوية الغزالي لأنه نزل بها ، وهي في الاصل أساس الصومعة الغربية التي
أزيلت هي والشرقية المقابلة لها قبل الفتح الاسلامي .

وهذا الباب الصغير المفتوح في شمال المسجد ، هو باب مدرسة
الكلاسة التي أنشأها نور الدين سنة ٥٥٥ ، ثم احترقت هي ومنارة العروس
بعد انشائها بأمد يسير ، فجددها صلاح الدين هي والمنارة ، وهذه هي
المنارة الرئيسية اليوم ، وفيها أذان الجماعة الذي أحدث في عصور
متأخرة . ذلك لأنها تطل على صحن المسجد ، وفيها الآلة الفلكية التي
تسمى البسيط ، والبسيط الذي كان فيها من صنع ابن الشاطر رئيس
المؤذنين بالجامع في القرن الثامن ثم انكسر بيد جدنا الشيخ محمد
الطنطاوي المتوفى سنة ١٣٠٤ فصنع البسيط الموضوع الآن ، ويقول

الشيخ الخاني في كتابه (الحقائق) أنه جاء أكمل من الاول اذ زاد فيه قوس الباقي للفجر (١) .

وبعد المنارة باب الفرديس ، ثم الخاتاه (وأصلها خانة قاه أي دار العبادة) السميّساطية بناها السميّساطي المتوفى سنة ٤٥٣ هـ . وكانت في الاصل دار عمر بن عبد العزيز . ثم نوافذ التربة الكاملية التي دفن فيها الملك الكامل الايوبي ثم مشهد زين العابدين المعروف اليوم بمشهد الحسين ، في شرقي الصحن ، وفيه الآن القبر المشهور أن فيه رأس الحسين ، وفي المسجد الملاصق للازهر في مصر قبر آخر لرأس الحسين ، ولاين تيمية رسالة في تحقيق مدفن الرأس مطبوعة معروفة .
ثم باب جيرون .

القباب

وفي الصحن ثلاث قباب .

اولاها : القبة الغربية (قبة المال) أنشأها الفضل بن صالح بن علي العباسي (ابن عم المنصور) لما كان أمير دمشق سنة ١٧١ أيام المهدي ، ويظهر أنها كانت مغلقة ، والناس يتوهمون أن فيها مالا ، ولم أجد خبرا لفتحها الا ما كان سنة ٩٢٢ هـ اذ فتحها (سيباي) فلم يجد فيها الا اوراقا

(١) وقال في (مناداة الاطلاع) .

وقد بقي البسيط الذي صنعه ابن الشاطر الى سنة ١٢٩٠ هـ وكان شيخنا الشيخ محمد الشهير بالظنطاوي اماما في فن الهيئة والبيقات في دمشق ، فرآه قد اختل لمرور السنين فجاء يحرره فانكسر فصنع غيره ولكنه رسمه على الافق الحقيقي ، وقد حصل له معاكسات من اهل دمشق وهجاه بعض ذوي الخلاعة والعقل المنحرف ثم أنه رسم آخر على الافق المرئي ووضعه في جامع الدقاق في الميدان .

ومصاحف بالخط الكوفي ، وقد فتحت في سنة ١٣٠٦ فوجدت فيها
مصاحف ومخطوطات نقلت الى اسطنبول •

ثانيتها : القبة الشرقية ، بنيت كذلك ايام المهدي سنة ١٦٠ وتعرف
بقبة زين العابدين ، وكانت تسمى قبة يزيد ، وتسمى الآن قبة الساعات
اذ كانت فيها ساعات المسجد •

والثالثة : القبة التي على بركة الماء وقد كانت من الرخام وأقيمت
سنة ٣٦٩ (١) وكان لها انايب من نحاس قيل في وصفها :

فؤارة كلما فارت فرت كبدي وماؤها فاض بالانفاس فاندفعها
كأنها الكعبة العظمى فكل فتى من حيث قابل أبوبا لها ركعا

البلاط

كانت ارض الصحن كلها مغطاة بفصوص الفسيفساء ، لم يكن فيه بلاط ،
وبقي ذلك الى حريق سنة ٤٦١ فذهب كله وصارت أرضه طينا في الشتاء
وغبارا في الصيف مهجورة ، وبقيت كذلك الى شعبان سنة ٦٠٢ فهدمت
القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي ، ونشرت حجارته وبدىء بتبليط
صحن الجامع الاموي على عهد الوزير صفي الدين وزير العادل وكمل
تبليطه سنة ٦٠٤ ، وذلك أنهم لما أرادوا فتح نوافذ للتربة الكاملة
المحدثة على الجامع ، لم يمكنهم من ذلك الا بشرط تبليطه •

وفي سنة ٦١١ جدد بلاط أرض الجامع من الداخل بعدما صارت
حفرا و (جورا) وتم سنة ٦١٤ ووضع متولي دمشق مبارز الدين ابراهيم
(المتوفي سنة ٦٢٣) آخر بلاطة بيده ، وكانت عند باب الزيادة ، وكان
ذلك على عهد الملك العادل •

وكان الملك الظاهر قد أصلح في الجامع اصلاحات كثيرة منها أنه فرش

(١) وفي منادمة الاطلاع ٣٩٦

باب البريد بالبلاط نحو سنة ٦٧٠ هـ أما البلاط الحالي فقد رصف نحو سنة ١٣٠٠ على عهد الناظر الشيخ احمد الحلبي وقد تكسر من القساء الاعمدة عليه عند عمارة المسجد بعد الحريق الاخير .

ومستوى أرض الجامع اليوم أعلى من أرضه على عهد الوليد . وتبين من حفريات مهندس الاوقاف (١) من أمد قريب ، حول قبة المال ، أن قواعد الاعمدة على عمق ثلاثة أمتار (٢) والقبة بنيت أيام المهدي العباسي ، وأخبرني جار الجامع الشيخ عبد القادر العاني ، أنه رأى عند الحفر لتجديد الحائط قطعة من أرض الجامع الاصلية مغطاة بفصوص على شكل الفسيفساء على عمق مترين ونصف ، ولكن هذه الفصوص أكبر من فصوص فسيفساء الجدران ، وأقدم قطعة من البلاط اليوم هي التي أمام العمود الرابع من الرواق الغربي ، وفيها حجران كبيران يظهر أنهما من القنطرة التي هدمت لرصف الجامع بالبلاط سنة ٦٠٢ .

(١) ايكوشار

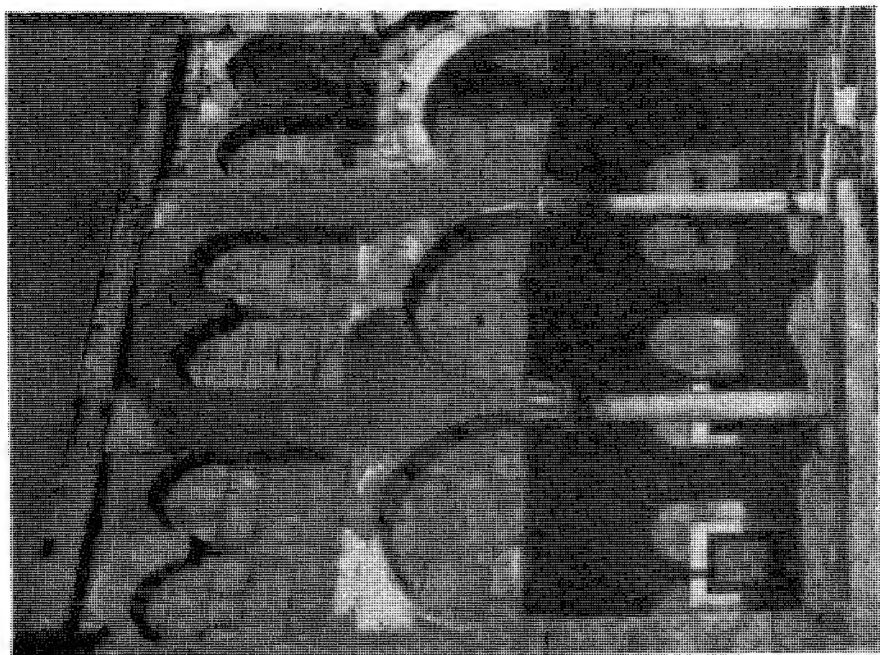
(٢) اما أرض الجامع فبالغالب انها كانت تحت الأرض الحالية بنحو نصف متر فقط .



تيجان اعمدة الاموي



من مناطق الفسيفساء



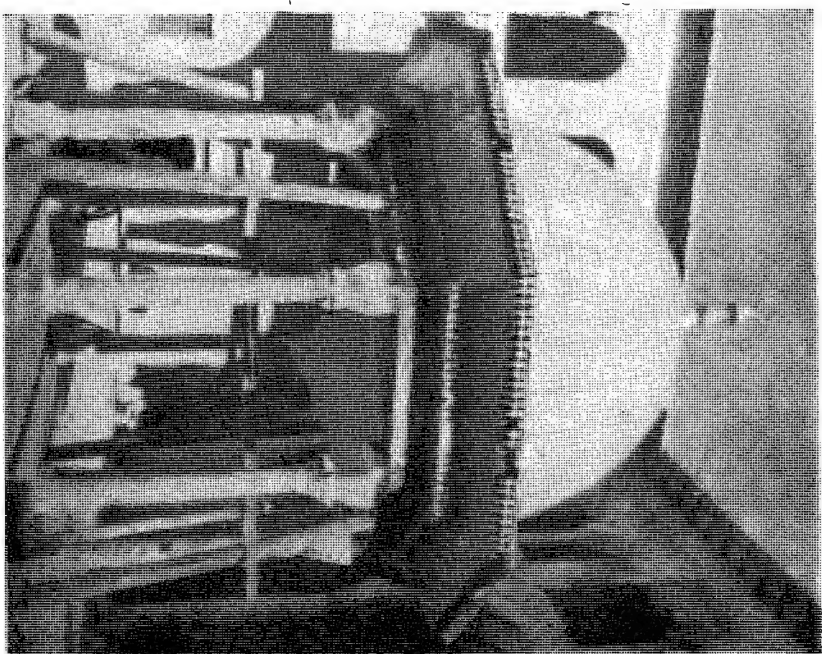
أعمدة رواق الصحن الشمالي عند التجديد



قبة المال (القبة الغربية في الصحن)



الباب الغربي (باب البريد)



القبة الشرقية (قبة الساعات)

في الحرم

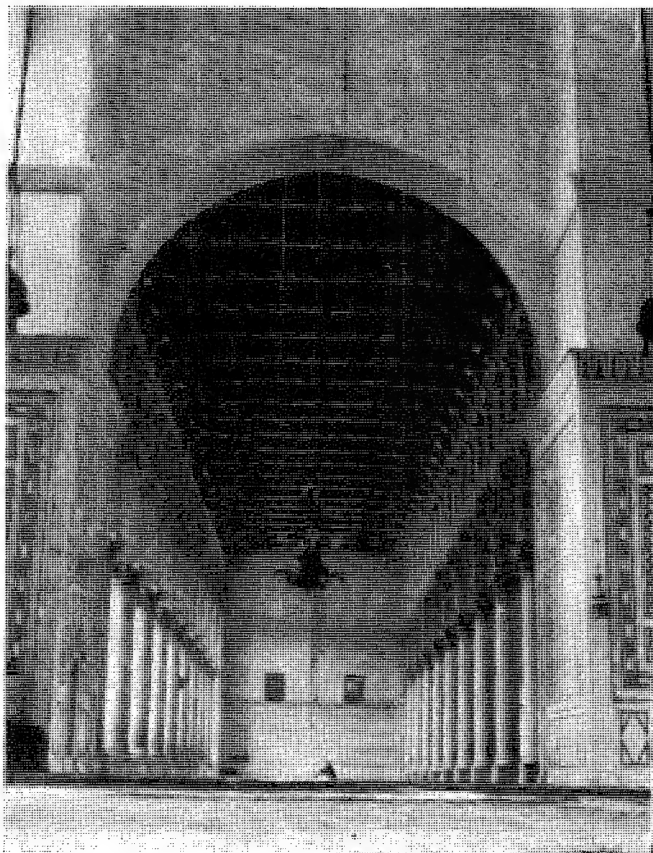
فلندخل الآن الى الحرم ، ان هذه الابواب المتصلة المفضية الى الحرم ، لم يكن لها في الاصل مصاريع ، وانما كانت عليها الستر الى حريق سنة ٤٦١ ، فاذا دخلنا ، وجدنا الى اليسار ، مشهد ابي بكر ، المعروف الآن بمشهد السفرجلاني ، ثم مدخل المنارة الشرقية ، ثم المحراب المالكي ، وهو المحراب الاصلي للمسجد قبل أن يبنيه الوليد ، وكان يسمى محراب الصحابة (١) وأنشئ المحراب الكبير ، عند عمارة الوليد وجعل للخطيب .

في سنة ٦١٧ نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث الغربي (قرب البئر) أي وراء الصف الثالث من الاعمدة ، وقد عارض في نصبه بعض الناس ، ولكن ركن الدين المعظمي ، قام بنصرة الحنابلة ، وصلى فيه الموفق ابن قدامة المقدسي ، ثم رفع في حدود سنة ٧٣٠ ، وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة ، وهو باق الى اليوم .

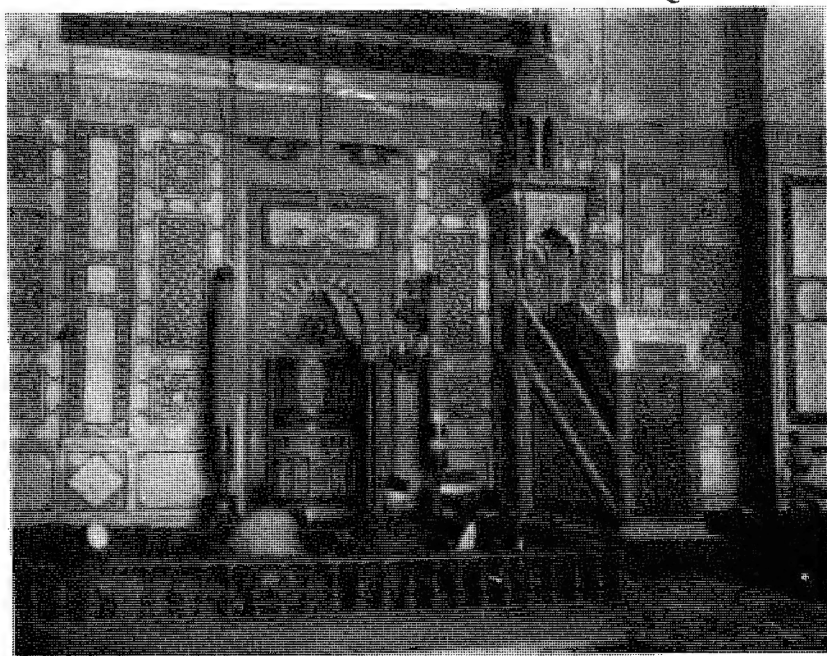
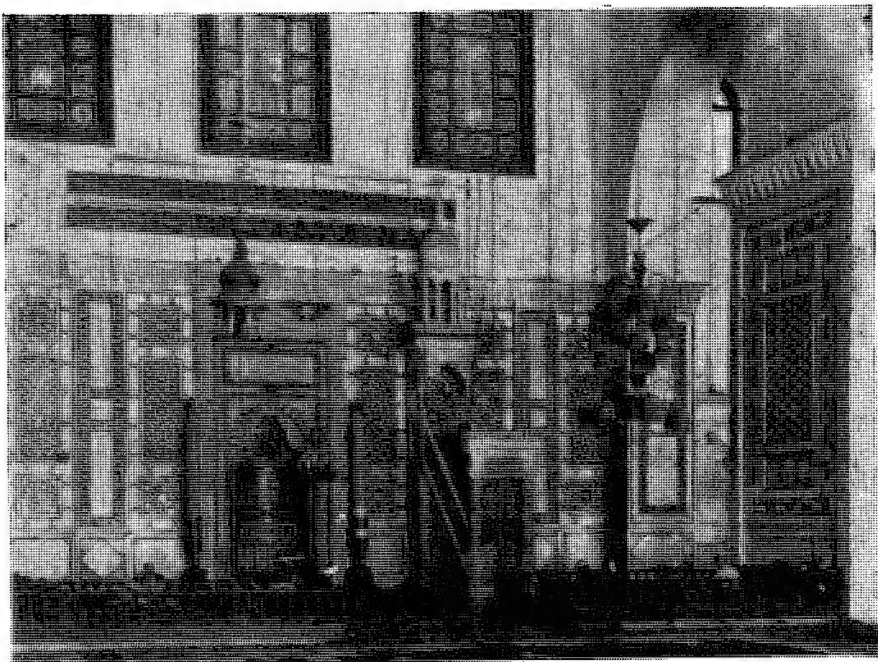
وعمل محراب الشافعي الآن سنة ٧٢٨ بأمر تنكز ، وخص بالحنفية ، وصارت المحاريب أربعة : محراب الخطيب ، ومحراب الحنفي (وهو الشافعي الآن) ، والمالكي والحنبلي .

وكانوا قبل سنة ٦٩٤ يصلون في وقت واحد ، ثم رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الامام الكبير ، وفي سنة ٨١٩ انتقل الامام الاول من محراب المالكية ، الى محراب الحنفية (وهو الشافعي الآن) . ثم استقرت الحال

(١) والمحاريب لم تكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي مما احدث .



النصف الغربي من البلاطة الوسطى
وذلك سدس الحرم



المنبر والحراب

على ان أول من يصلي امام الكلاسة ، ثم امام مشهد الحسين ، ثم الشافعي ،
ثم المالكي ، ثم الحنبلي ، ثم امام مشهد ابي بكر ، ثم امام مشهد عروة ،
ثم امام مشهد عثمان . ثم اقتصر الامر على أئمة المسجد الاربعة والعمل
على ذلك الى الآن بهذا الترتيب ، أي الشافعي فالحنفي فالمالكي
فالحنبلي (١) .

القبر

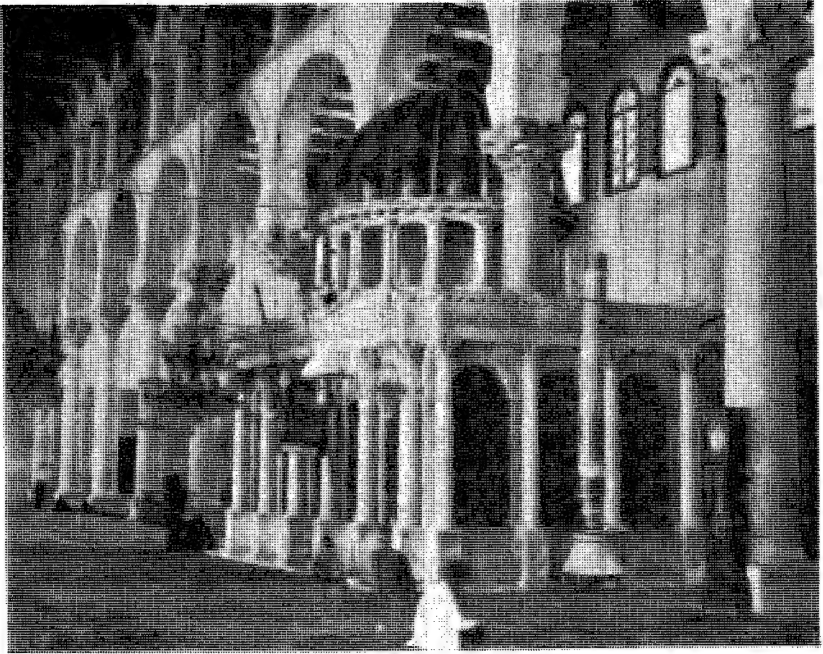
أما القبر فقد نقل ابن عساكر أنهم راوا عند عمارة المسجد مغارة ،
فخبروا بها الوليد ، فنزل اليها والشموع بين يديه فوجد كنيسة صغيرة ،
ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، فيها صندوق فيه سبط (ققعة) فيه رأس ،
سليم الجلد والشعر ، مكتوب عليه أنه رأس يحيى بن زكريا ، فأمر بتركه على
حاله ، وجعل للعمود القائم على المغارة علامة تميزه ، وبقي كذلك فترة ثم
وضع فوقه تابوت عليه اسم يحيى ، رآه ووصفه (كما سيأتي) ابن جبير
في أواخر القرن السادس الهجري ، وبقي ذلك الى تاريخ رحلة ابن بطوطة ،
ثم اقيمت هذه القبة في وقت لم أقف على تحديده الى الآن .

ولم يتخذ الوليد عليه قبرا ، لأنه لم يثبت عنده أن الرأس ليحيى ،
ولان اقامة القبور في المساجد او بناء المساجد عليها ممنوع في الاسلام ،
والرسول صلى الله عليه وسلم حذر منه ولعن فاعله ، وكان ذلك من آخر
ما نطق به صلى الله عليه وسلم قبل وفاته (٢) .

ولا يحتاج لجواز اتخاذ القبور مساجد بقبره صلى الله عليه وسلم ،

(١) الصحيح من السنة انه لا يجوز تكرار الجماعة في مسجد له امام
راتب ، وعلى ذلك مذهب الحنفية (الحاشية) ٢٦٥:١ - ٣٧١:١

(٢) وفي كتب الحنفية المنع من ذلك (الحاشية ٦٠١:١ والهندية
١٦٦:٥)



القبر

فان قبره لم يكن في المسجد ، بل كان في داره ، فلما دخلت الدار في المسجد عند التوسعة (١) ، صار فيه ، وقد نص الحنفية أن من آداب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ألا يستقبل الزائر القبر بل يقف بجذاء رأسه الشريف ويصلي عليه ويدعو له ، وهو مستقبل القبلة (٢) . مع أن الثابت من تاريخ سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وهو الذي يسميه النصارى (يوحنا المعمدان) أنه كان على عهد المسيح عليه السلام ، وأن الامبراطور الروماني ، أمر بقتله وسلم رأسه الى (تلك) الراقصة الفاجرة ، فعُثت به ولم يعلم مصيره ، فهو قد قتل في الاردن ، قبل عمارة الاموي بنحو ستمئة سنة ، فمن أين وصل الرأس الى هذه المغارة ؟ وكيف قطع هذه المسافة على الارض ، وهذه المسافة في الزمان ، ثم استقر سليما في هذا السقط ؟

أما تسمية الكنيسة بمار يوحنا فلا يدل على شيء ، لان عند المسيحيين أكثر من عشرين كنيسة ، في كل منها قبر ليحيى عليه السلام (٣) هذا وعندهم أكثر من عشرين قدينا باسم (مار يوحنا) فمن قال بأن الاسم المقصود هنا هو ليوحنا المعمدان ؟

وعلى فرض صحة الخبر الذي رواه ابن عساكر ، فانه لا يثبت الا أنهم وجدوا رأسا عليه اسم يحيى لا يعرف من كتبه ولا تاريخ كتابته ، وليس لدينا أي دليل على أن هذا القبر هو ليحيى ، وليس لدينا دليل (كذلك) على نفي أن فيه رأس يحيى عليه السلام . فالله اعلم بحقيقة الحال .

(١) انظر كتابي (من نفحات الحرم)

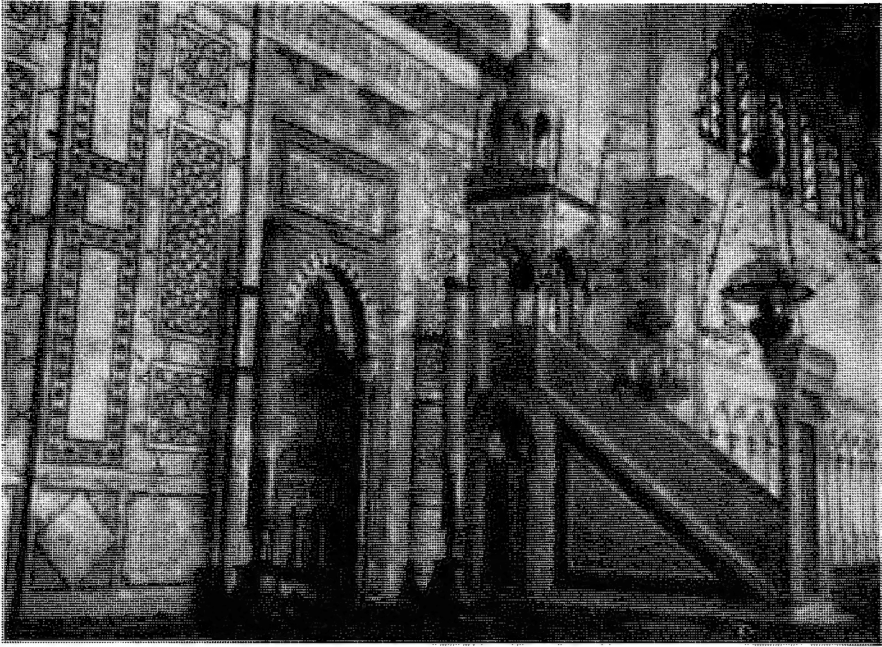
(٤) الهندية عازيا الى (الاختيار شرح المختار) .

(٥) وفي قرية سبسطيا قرب نابلس حيث قتل ، قبره يقده النصارى

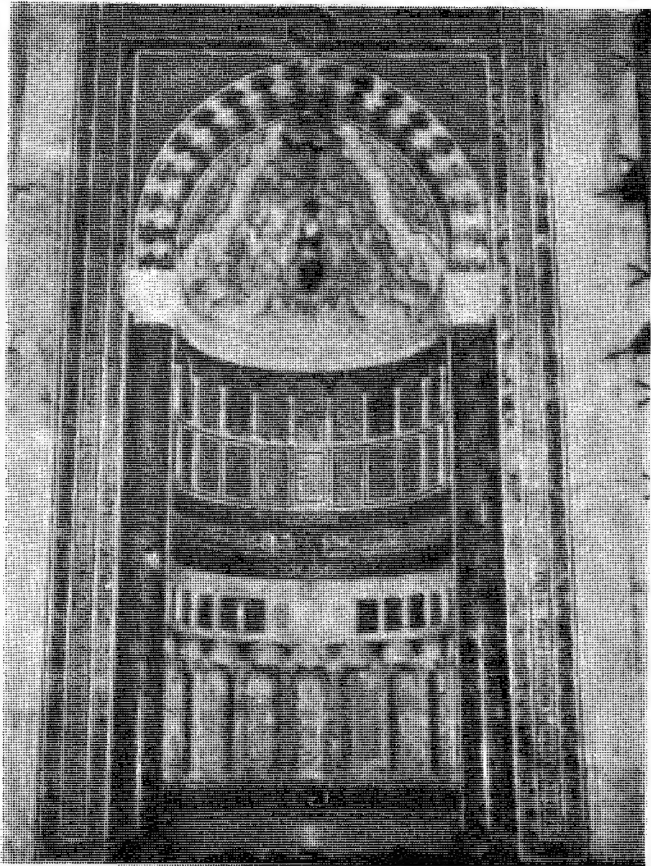
ووراء المحراب والمنبر ، الباب الذي سد من قديم ، ويبدو أعلاه
الآن للمار من القباقيية ، ظاهرا من وراء الدكاكين •

وكان بعد المنبر ، مقصورة الخطابة ، ثم بيت الخطابة ، وهي
موجودة ، ثم محراب الشافعي ، ثم باب الزيادة ، ثم محراب الحنبلي ،
في موضع المقصورة المسماة بمقصورة الخضر ، ثم قاعة الحنابلة ، ثم
المئذنة الغربية ، ثم مشهد عروة (أو ابن عروة) على جانب باب البريد
الايمن للداخل •

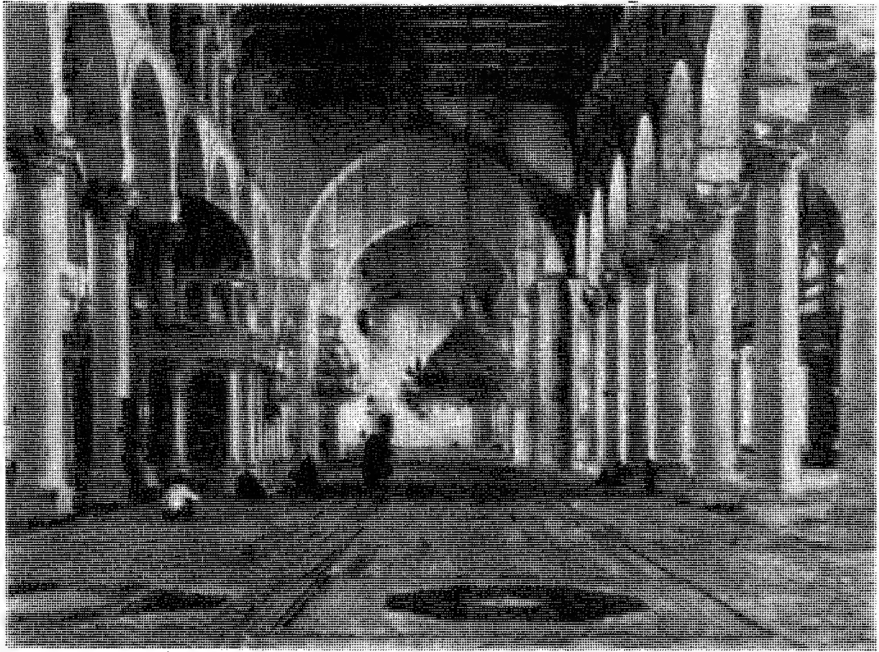
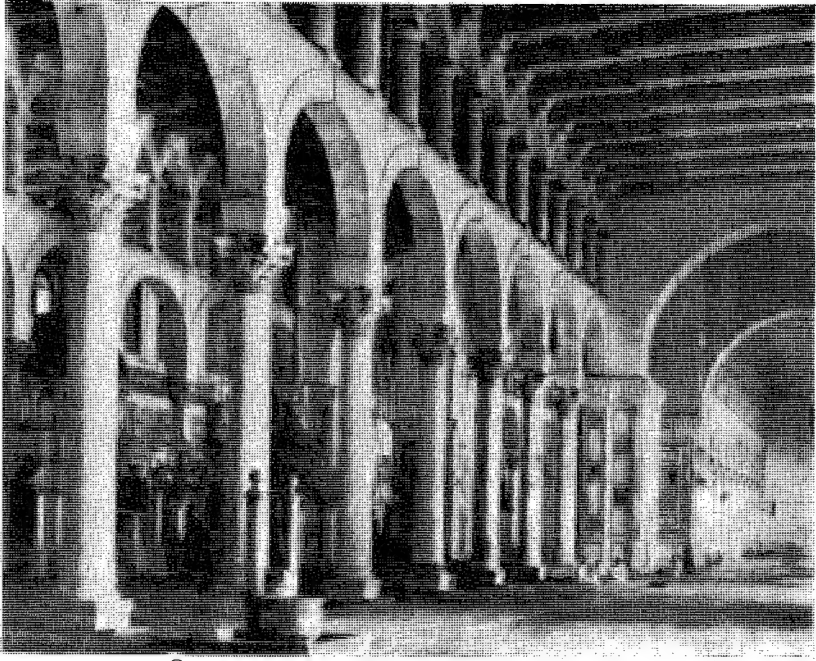




المنبر والمحراب الكبير



المحراب الكبير



القبر والبلاطة الوسطى في الحرم

عمارة الأموي

عمارة المساجد ، من هدي الانبياء وسنن المؤمنين ، وقد بنى ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام الكعبة ، البيت الحرام ، وكان أول ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، هو بناء مسجد المدينة ، وان كانت عمارة المساجد بالعبادة والعلم والايان مقدمة على تثبيت الاركان ، وتعليق الجدران ، والاكثر من الزخارف والالوان ، بل ان زخرفة المساجد ، والزيادة في عمارتها على حد الضرورة مما كرهه الاسلام ورغب عنه السلف الصالح .

وقد نص الحنفية على ان الكتابة على جدرانها ، ولا سيما في القبلة ، لا تستحسن (١) .

وكان هذا المسجد في الاصل معبدا وثنيا ، فأخذه النصارى فصيروه كنيسة ، فلما كان الفتح الاسلامي ودخل خالد عنوة من جهة الباب الشرقي ، ودخل ابو عبيدة صلحا من جهة باب الجابية ، تم الاتفاق على أن تقسم الكنيسة قسمين ، ما كان منها في الارض التي وصل اليها ابو عبيدة صلحا بقيت كنيسة ، وما كان منها فيما فتح عنوة صار مسجدا ، وكانت هذه قوانين الحرب المتعارفة ، وكان للظافر أن يمتلك المرافق العامة فيما فتحه بالسيف ، وبذلك القانون أخذ النصارى هذا المعبد الوثني من قبل وصيروه كنيسة .

(١) البزازية (على هامش الهندية) ٣٧٠:٦

وكان المسجد في أقل من نصف مساحته الآن (أي من باب النوفرة الى ما قبل القبة) ، وكان له محراب واحد هو محراب المالكية اليوم •

واستمرت الحال على ذلك الى ايام الوليد ، فكان النصارى يصلون فيؤذن المسلمون فيزعجونهم ، ويصلي المسلمون فيضرب النصارى النواقيس • وضاق المسجد بأهله ، وأراد الوليد أن يضم الكنيسة الى المسجد ، وكان الوليد هو الحاكم المطلق في نحو عشرين دولة من دول اليوم هي الجمهورية العربية المتحدة والعراق والاردن وفلسطين والحجاز واليمن وتركيا وليبيا وتونس ومراكش والجزائر واسبانيا والحشة وايران والافغان وجمهوريات ارمينية وبخارى وتركستان وقسم من باكستان • ولكنه كان مع هذا السلطان مقيدا بقيد القرآن والقرآن والسنة يحرم ان ظلم المواطن الذمي ، أي المواطن المسيحي يعرف الناس اليوم ، ولا يجوز التعدي عليه ما لم ينقض هو العهد ، لذلك لم يقدر أن يصدر أمرا بأخذ الكنيسة جبرا ، فدعا رؤوس النصارى وعرض عليهم أن يعطوه بقية الكنيسة ويبنوا لهم بدلا منها ، كنيسة أعظم منها ، فأبوا ، فعرض عليهم أن يبنوا لهم اربع كنائس ، ويعطيهم مبالغ ضخمة من المال فأبوا ، وقالوا اننا نتمسك بالعهد الذي كان بيننا وبينكم • فقال لهم : أتمم خالفتم العهد وأحدثتم كنائس جديدة لم يكن في المعاهدة بناؤها فأنا أهدمها •

وعزم على ذلك ، ودخل عليه أخوه المغيرة فوجده مهموما فقال : مالك يا أمير المؤمنين •

فخبره ، فقال : اخرج العهد فانظره • فأخرجه فنظر فيه ، فاذا القسم المفتوح عنوة ، يمتد الى آخر الكنيسة وبذلك تكون كلها حقا للمسلمين ، فألف لجنة مشتركة (اسلامية ونصرانية) فقامت بمسح ذلك ، فظهر بالمساحة ان الكنيسة كلها من حق المسلمين ، وأنها تدخل المسجد •

فقالوا يا أمير المؤمنين ، كنت أقطعتنا أربع كنائس ، وعرضت علينا من المال كذا وكذا ، فإن رأيت أن تتفضل به علينا • فامتنع أولا ، ثم أعطاهم الكنائس الأربع ، وبنى لهم كنيسة مار يوحنا الكبرى ، أي أن الدولة الإسلامية ، في أقوى عصورها ، تبني للنصارى الكنائس من مالها ، ثم يتندرع المستعمرون بالخوف على النصارى في بلادنا من حكم الاسلام!

وقالوا : ان من يهدم الكنيسة يجن • فأخذ الوليد المعول وقال : أنا أحب أن أجن في سبيل الله وضرب به وتبعه الناس ، ثم دعوا باليهود فأكملوا هدمها ، ولم يبق في المسجد من الكنيسة الا الجدران وأساس الصومعتين الاماميتين ، على أن صاحب معجم البلدان يروي أنه تقض الحيطان وأعاد بناءها على أساس جديد حفر له حتى بلغ الماء •

وسمع امبراطور القسطنطينية بذلك ، فأراد أن يصرفه عن عمارة المسجد ، فكتب اليه : ان كان هدم الكنيسة حقاً وصالحاً ، ولم يفعله أبوك ، انه لوصة عليك • ولما ورد الكتاب على الوليد ، قعد يفكر في جوابه ، فدخل عليه الفرزدق الشاعر فقال له : جوابه حاضر ، وهو قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) •



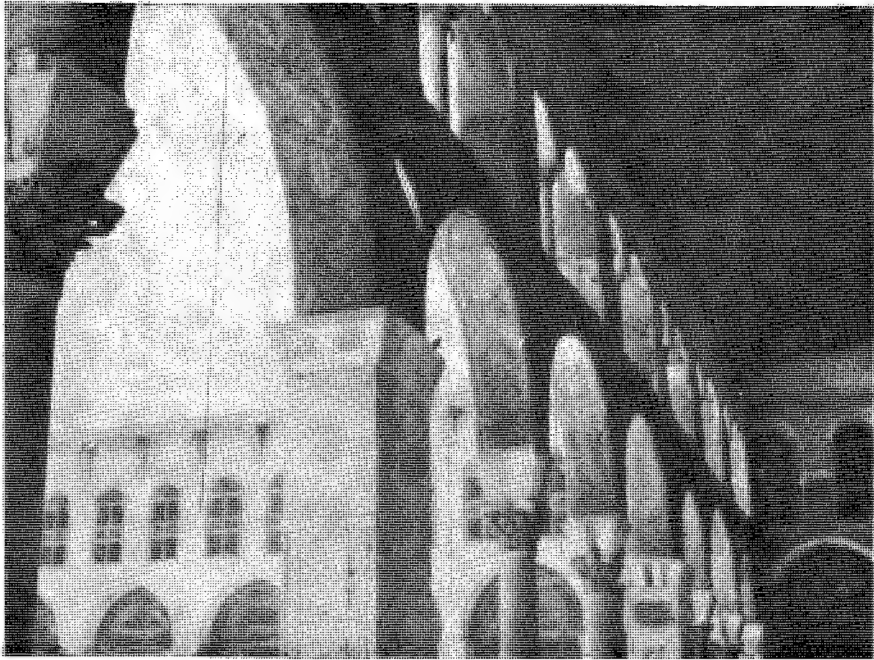
وحشد لبنائه العمال من كل مكان وأراد أن يقيم السقف على اسطوانات (اعمدة) فاقترح عليه بناء شامي ، أن يقصر الاعمدة ، ويعقد بعضها بأقواس ، ويقيم فوقها أعمدة صغاراً ، لها قناطر تحمل السقف ، فصنع ذلك وبقي الى يومنا هذا •



بقايا الدهليز
الشمالي والمئذنة

قبة النسر والمئذنة الشرقية
عند تجديد أعلاها .
وتبدو من الامام قبة
صلاح الدين الايوبي .





أعمدة الرواق الغربي في الصحن

هندسة الاموي :

وكانت هندسته مبتكرة ، شهد بذلك كل من رآه من قديم وحديث
من المسلمين وغير المسلمين .

من ذلك أن المهدي لما قدم الشام في طريقه الى بيت المقدس ، دخل
مسجد دمشق ، ومعه كاتبه أبو عبيد الله الاشعري ، فقال له : يا أبا
عبيد الله سبقنا بنو أمية بثلاث .

قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟

— قال : هذا البيت (يعني المسجد) ، ونبل الموالي ، فإن لهم موالى
ليس لنا مثلهم ، وعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا مثله أبدا .
ولما وصل الى بيت المقدس ورأى قبة الصخرة ، قال : يا أبا عبيد الله
وهذه رابعة .

ولما دخل المأمون مسجد دمشق ، ومعه المعتصم ، ويحيى بن أكثم ،
قال لهما :

— ما أعجب ما في هذا المسجد ؟

— قال المعتصم : ذهبه وبقاؤه فانا نجعله في قصورنا فلا تمضي
عليه العشرون سنة حتى يتغير .

— قال : ما ذاك الذي أعجبني منه .

— قال يحيى : تأليف رخامه ، فاني رأيت شيئا ما رأيت مثله .

— قال : ما ذاك الذي أعجبني منه .

— قالا : وما الذي أعجبك ؟ .

— قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

ووصفه احد الكتاب ، وكان قدم دمشق سنة ٤٣٢ هـ . بأنه بكر

الدهر ، ونادرة الوقت ، وأن أمية أبقت به ذكرا لا ينقطع • وقال صديقنا الدكتور صلاح المنجد (١) بأن المستشرقين العارفين بالآثار مقرون بأن تخطيط المسجد وهندسته شيء مبتكر ، لا يشبه هندسة الكنائس البيزنطية ، وأن كثيرا منها يخرج عن طريقة العمارة السورية النصرانية المتوارثة •

بناء القبة

ولما أقيم هيكل البناء عمد الوليد الى رفع القبة وأرادها سامقة باسقة ، فلما تمت سقطت ، فشق ذلك على الوليد فجاءه بناء شامي ، فقال : أنا ارفعها بشرط • قال : وما هو ؟ قال : أن تعطوني عهد الله ألا يمد أحد غيري يده الى بنائها • قال : لك ذلك •

فحفر حتى بلغ الماء ، ثم وضع الاساس وغطاه بالحصر ، واختفى ، وطلبوه سنة كاملة فلم يصلوا اليه ، فلما كان بعد السنة جاء ، فقال له الوليد : ما دعاك الى ما صنعت ؟ فقال : تخرج معي حتى أريك • فخرج والناس معه ، حتى كشف الحصر ، فوجد البنيان قد انحط ونزل قليلا • قال : من هنا كان سقوطها فابن الآن فانها لا تهوي ان شاء الله • وبني واستقرت القبة •

هدية اليهودية

وعزم على أن يغطي القبة بالذهب ، فنهاه العقلاء وأروه ان ذلك يستفرغ خزائن من المال ، ولا ينفع شيئا فأمر أن تغطي بالرصاص •

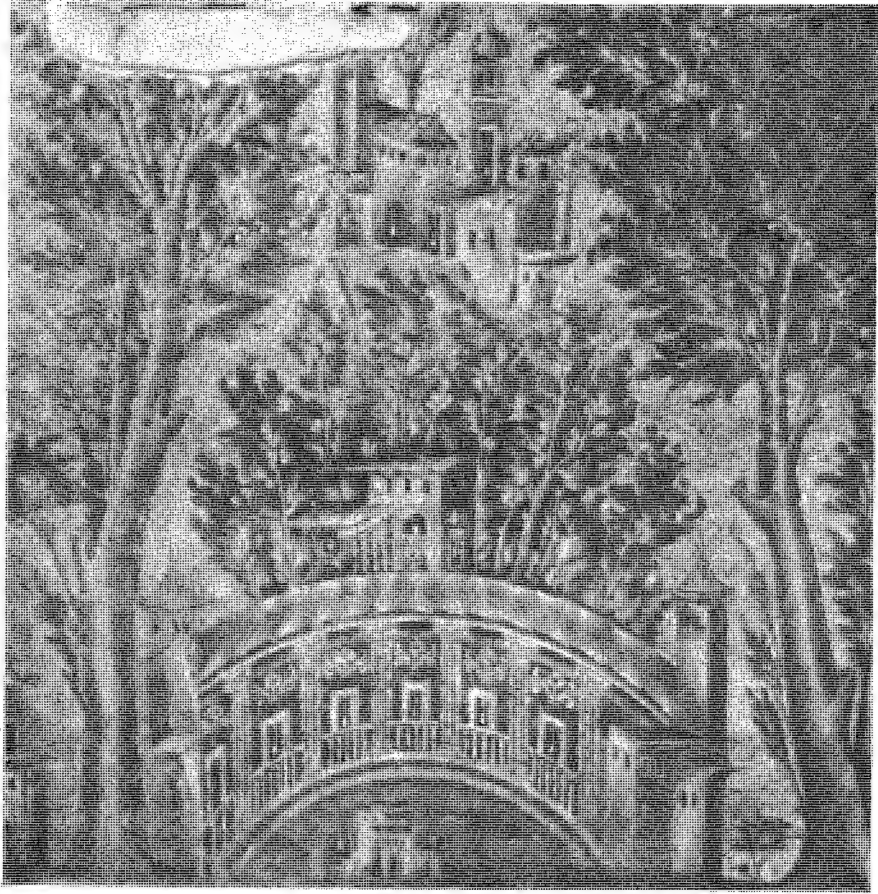
(١) في (مسجد دمشق) وهو نص ثمين في ذكر شيء مما استقر عليه المسجد الى سنة ٧٣٠ هـ وكل ما في هذا النص موجود بعبارته أو بأكثر تفصيلا في ذيل الدارس

وجمع الرصاص من كل مكان ، وبقيت قطعة من السقف لم يجدوا لها رصاصا الا عند امرأة أثبت أن تبيعه الا بوزنه ذهباً ، فكتب بذلك العامل الى الوليد ، فقال له : اشتره منها بوزنه ذهباً فلما قال لها ذلك ، قالت : هو هدية مني الى المسجد . فقال لها كيف ضننت به أولا الا بوزنه ذهباً ثم سمحت به هدية ؟ قالت : أنا لا أريد الذهب ولكن اردت أن اخبر عدل الاسلام . قالوا : وكانت يهودية . فكتب على صفائح كلفة (الله) .

الأروقة والفناء

فتم المسجد صحناً مكشوفاً ، حوله ثلاثة صفوف من الأعمدة من غرب وشمال وشرق ، وحرم مسقوف في وسطه رواق عال من الشمال الى الجنوب تتوجه قبة النسر ، وثلاثة أروقة من الشرق الى الغرب ، كانوا يسمونها البلاطات وكله من المرمر ، وقد أسدلت على ابواب الحرم وعلى الثلث الأدنى من جدرانه ، الستور المزدوجة ، كما يكون اليوم في دور الموسرين المترفين ، ولكنها من الديباج والوشي ، وغطي باقي الجدار وجدران الصحن بالفسيفساء . والفسيفساء (والكلمة يونانية اصلها بسيفوسيس) فصوص صغيرة ، تكون من الزجاج والحجر ، ومن الرخام ومن الصدف ، مختلفة الألوان والاشكال ، فمنها المثلث والمربع والمستدير والمستطيل ، ترصف على طبقة من الجص المصنع او نحوه ، وربما صنعت فصوصها من مواد مختلفة ، تخلط وتطبخ على طريقة كانت معروفة ، وربما حليت بالذهب وغطيت بطبقة من الزجاج أو ما يشبهه . وقد توصلت وزارة اوقاف الشام الى صنع مثلها في هذه الايام .

وكانت أرض المسجد وجدرانه وسقفه ، مغطاة بهذه الفصوص



من صور الفسيفساء في الاموي

المذهبة (١) ، التي جمعت صور بلاد الدنيا (كما قال المؤرخون) فما يريد المرء اقليما الا وجده في الجامع ، مصورا كهيئته ، فيراه من غير أن يتعب بالسفر اليه وصور كل شجرة ، ثمرة وغير ثمرة ، ومكة والكعبة فوق المحراب ، والى جنبها صورة كرمة ، حسبوا ما أنفق عليها فقالوا ، أنه بلغ سبعين الف دينار • والله أعلم •

ويظهر من خبر المأمون (وقد تقدم) أن هذه النقوش بقيت على رونقها وزينتها الى عصره •

وفي خبر أبي الليث الذي رواه ابن عساكر أنها بقيت الى سنة ٤٣٢ هـ ، بل لقد بقيت على حالها الى حريق سنة ٤٦١ كما نقل ابن كثير •

القناديل

وعلق في المسجد قناديل البلور ، في السلاسل المذهبة ، وجعل فيها المسك ، فكان الناس اذا اطفئت يأخذون بأنوفهم من ريح المسك ، وكان فيها ثريا ثمينة نادرة تسمى (القليلة) فبقيت الى أيام الامين ، وكان يحب البلور ، فكتب الى والي دمشق أن يوجه بها اليه ، فلما قتل ردها المأمون الى مكانها ، وكانت في محراب الصحابة (محراب المالكي الآن) ثم ذهبت فجعل مكانها برنية من زجاج ، ثم انكسرت فلم يجعل في مكانها شيء •

نفقات البناء

وهال الناس ما انفق الوليد على المسجد ، وتكلموا فيه ، وكانت للشعب رقابة فعلية على الخليفة ، وان لم تكن يومئذ صحف ولا برلمان ،

(١) ثم رصفت ارضه بالبلاط بعد ذلك (كما تقدم) •

وأثناء حاجبه وقال : يا أمير المؤمنين ، ان الناس يتحدثون انك انفقت الاموال في غير حقها فنأدى : الصلاة جامعة • وكان هذا النداء بمثابة دعوة للناس الى اجتماع شعبي طارىء ، فاجتمعوا في المسجد ، فقال لهم : لقد ابلفني حرسى انكم تقولون ان الوليد انفق الاموال في غير حقها ، ألا يا عمر بن مهاجر (وكان أمين الخزانة) قم فاحضر ما لديك من الاموال في بيت المال • فأئت البغال تدخل بالمال ويصب على الانطاع ، حتى ان من كان في جهة الشمال لم يبصر من كان في جهة القبلة • قال : الموازين ! فأئت الموازين فوزن المال واحصى فوجدوا ان في بيت المال من المدخر ما يقوم بنفقات الدولة سنين •

صفائح السايخ

وكتب تاريخ المسجد على صفائح مذهبة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم • الله لا اله الا هو الحي القيوم • لا تأخذه سنة ولا نوم • له ما في السموات وما في الارض • منذ الذي يشفع عنده الا باذنه • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • ولا يحيطون بشيء من عمله الا بما شاء • وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم •

لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، لا نعبد الا اياه ربنا الله وحده وديننا الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم • أمر ببنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد امير المؤمنين في ذي القعدة من سنة ست وثمانين » •

النصارى والأموي

ولما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز ، ورأى النصارى عدله وسيرته ، وحكمه برد مدينة سمرقند الى أهلها لما جاؤوا ببينة على أنها فتحت

غدرا (١) ، طمعوا في استرجاع الكنيسة ، ورفعوا دعواهم اليه واولوا بالمعاهدة التي شرطت لهم ألا تهدم كنائسهم ، ولا تسكن ، فكلهم وحاول ارضاءهم ودفع لهم مئة الف دينار أي نحو مليوني درهم • فأبوا • فأمر بأن تعاد اليهم الكنيسة ، وكلف محمد بن سويد الفهري بهذه المهمة فأكبر ذلك محمد واكبره الناس ، وقالوا : كيف ندفع اليهم مسجدنا بعدما صلينا فيه وقرأنا فيههم فيعاد كنيسة ؟ •

فقال رجل منهم : ارفعوا دعوى (مقابلة) الى أمير المؤمنين ، بأننا نتمسك بالمعاهدة ، والمعاهدة تحمي كنائسهم التي كانت حين الفتح ، ولكنها تمنعهم ان يحدثوا غيرها ، وقد احدثوا بعد الفتح سبع كنائس ما لهم فيها حق ، وعليهم بحكم المعاهدة ان يهدموها • فان احبوا فانا نعطيهم الكنيسة التي صارت مسجدا ، ونهدم كل ما أحدثوا من كنائس ، وان شاءوا تركت لهم كل كنيسة احدثوها ، ونجعل للمعاهدة ملحقا نعترف لهم بها فاستمهلوا ، ثم قبلوا بذلك ، وتنازلوا عن دعواهم •

عمر وزخارف الأُموي

ثم نظر عمر الى هذه الزينة ، وهذه الزخارف ، فعزم على ابطالها ، لان كل ذلك مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء المساجد ، والاسلام يكره زخرفة المساجد ، والسرف في بنائها ، لئلا تشغل المصلين بروعة بنائها عن مراقبة ربهم ، وحسن التوجه اليه ، وكل ما نرى في المساجد الآن من الزخرف والقرن والنقوش والتعالي في البناء والتزيث من الفرش ، كل ذلك مما رغب الاسلام عنه وكرهه ، كما كره اقامة القبور فيها والكتابة على جدرانها •

ثم ان عمر بن عبد العزيز قال : لقد هممت أن اعمد الى تلك الفسيفساء ، وذلك الرخام فاقلعه ، واجعل مكانه طوبا ، وانزع تلك

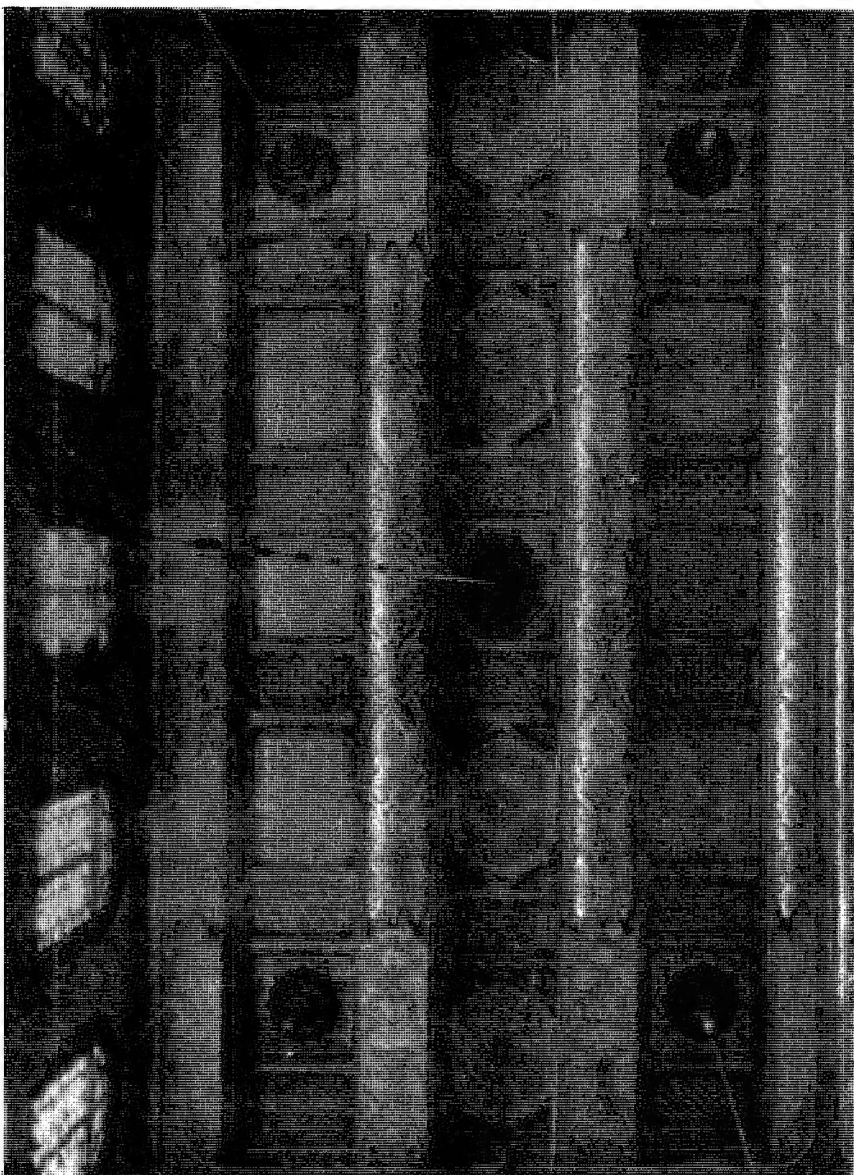
(١) انظر (قضية سمرقند) في كتابي (قصص من التاريخ) .

السلاسل واجعل مكانها حبالا ، وانزع تلك البطائن (أي الستائر) فأبيع جميع ذلك ، وادخله بيت المال ، فبلغ ذلك أهل دمشق ، فأشتد ذلك عليهم ، فخرج اليه اشرافهم ، وفيهم رجل يقال له خالد، فقال: ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم . فأذنوا له . فلما أتوا دير سمعان ، استأذنوا على عمر ، فأذن لهم ، فلما دخلوا سلموا عليه ، فقال خالد : يا أمير المؤمنين بلغنا أنك هممت أن تفعل كذا وكذا في مسجدنا ، فقال لهم : رأيت أموالا انفتحت في غير حقها وأنا مستدرك ما ادركت فأجعل قرارها في بيت المال ، فقال له خالد : والله ما ذلك لك يا أمير المؤمنين . فقال له : لمن هو ؟ الأملك الكافرة ؟ وغضب عمر ، وكانت ام خالد نصرانية (١) . فقال له : ان تكن كافرة ، فقد ولدت مؤمنا . فاستحيا عمر ، وقال : صدقت . ثم قال: ما معنى قولك ، ما ذلك لي ؟ فقال : لانا كنا معشر أهل الشام واخواننا من اهل مصر ، واخواننا من أهل العراق ، نغزو فيفرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قسما من السيفساء ، وذراعا في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستأجرون من يحمله الى دمشق ويحمله أهل حمص الى حمص ويستأجرون من يحمله الى دمشق ويحمل أهل دمشق ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذلك قولي ، ما ذلك لك . فسكت عمر ، ثم جاء كتاب من يزيد بن معمر يخبره، أن قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم، عليهم رجل منهم ، يريدون الوفود على أمير المؤمنين ، فكتب اليه ان وجههم الي ، ووجه معهم عشرة من المسلمين واجعل عليهم رجلا منهم وليكن يحسن التكلم بالرومية ولكن لا يعلموهم بأنهم يعرفون لغتهم ، وذلك لاجل أن يحملوا كلامهم ، ففعل ما أمره به وساروا حتى أتوا دمشق ، فنزلوا خارج باب البريد ، فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ، أن يستأذن لهم الوالي في دخول المسجد ، فأذن لهم فمروا في

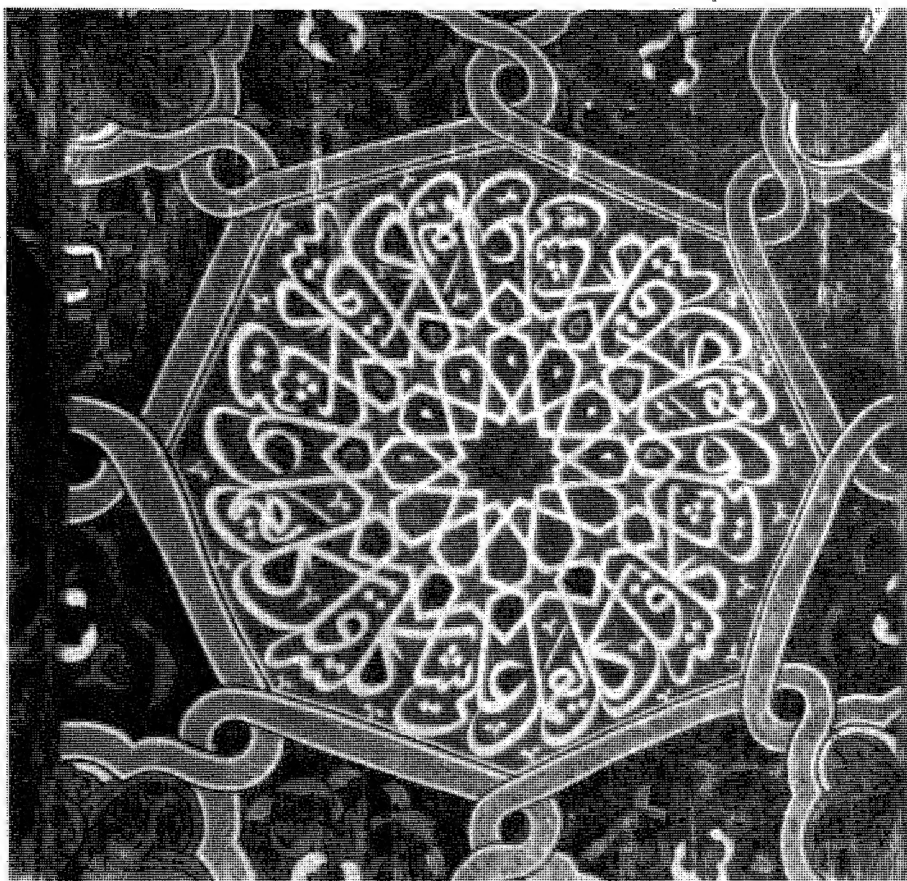
(١) هو اذن خالد بن عبد الله القسري

الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبة ، فكان اول ما استقبلوه المنبر ، ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيا عليه ، فحمل الى منزله فأقام ماشاء الله أن يقيم ثم أفاق فقالوا له بالرومية : ماقصتك ؟ عهدنا بك من رومية وما انكرنا منك شيئا ، وصحبتنا في طريقنا فما انكرناك ، فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد ؟ فقال : انا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيقونها ، فلذلك أصابني ما أصابني ، فلما قدموا على عمر أخبروه بما سمعوا منه ، فقال : لا أرى مسجد دمشق الا غيظا على الكفار فنزل عما كان هم به من أمره .

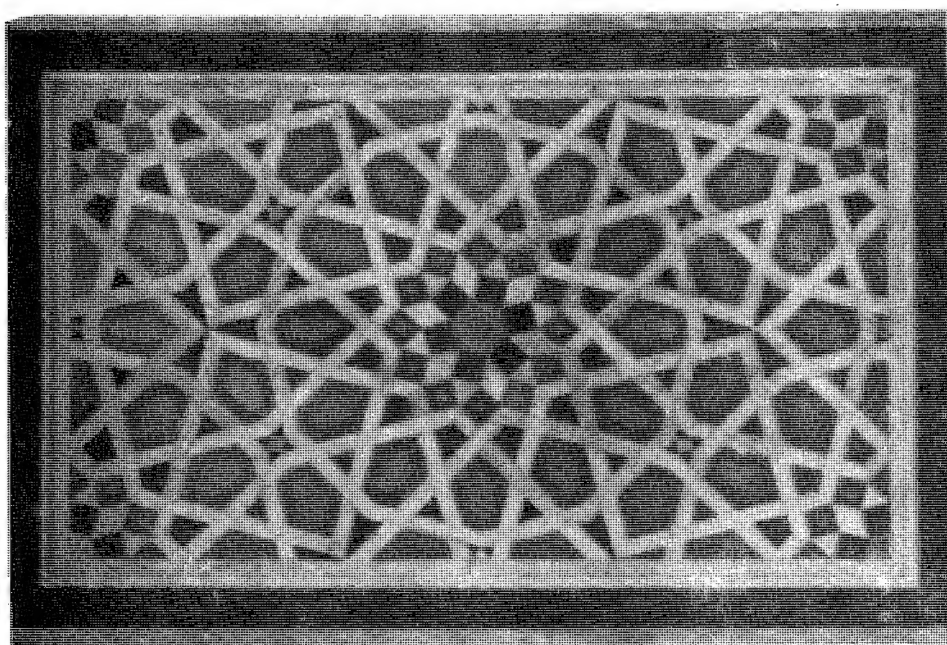




من نقوش السقف



▲ من تقوش السقف ▼



اطوار الأموي واحداثه

مرت بالمسجد احداث جسام ، لا استطيع أن استقصيها في هذه العجالة انما اعرض اليها عرضا ، وموعدنا بتفصيل امرها كتابي الكبير عن الجامع ، ان وفق الله اليه وأذن باتمامه .
فمن أكبر الاحداث التي أصابته الحرائق .

الحرائق والزلازل

وكان بقي سليما ، جدرانه كلها وسقفه مغطاة بفصوص الفسيفساء المذهبة ، وتقوشه بادية ، وستره مسدلة ، الى سنة ٤٦١ ، حين انقسمت الدولة دولتين ، وصارت الخلافة خلافتين ، وادعى العبيديون أنهم من نسل فاطمة رضي الله عنها ، وأقاموا حكومة باسمها ، اتخذت لها غير مذهب جمهور المسلمين مذهبها ، وحدثت منكرات وبدعا . وكان الخلاف قد استحكم في دمشق بين غلمان العباسيين وغلمان الفاطميين ، ووصل الى سل السيوف واراقة الدماء ، والترامي بالنار ، فأصابت النار دار الامارة وهي الدار الخضراء (التي لم يبق منها الآن الا مصبغة صغيرة في زقاق ضيق ، اسمها المصبغة الخضراء) فاحترقت الدار وامتد الحريق الى المسجد ، فاكلته النار اكلا ومحت محاسنه ، واذهبت كل ما كان فيه ، فلم يبق منه الا الجدران الاربعة . وصارت ارضه بعد الفسيفساء التي تأخذ العقول تلالا من التراب ، طينا في الشتاء ، وغبارا في الصيف وجمعت فصوص الفسيفساء فاودعت في المشاهد ، الى ان اخرجها ناظر المسجد القاضي الشهرزوري أيام السلطان نور الدين .

وبقي المسجد مخربا اربع عشرة سنة حتى جددت عمارة السقف والقبّة
أيام ملكشاه السلجوقي على يد الوزير نظام الملك (مؤسس المدرسة
النظامية) • أما الصحن فبقي ترابا وطينا ، حتى بلط أيام الملك العادل
بعد الستمئة • كما مر في الكلام على بلاط الجامع •

وفي سنة ٥٦٢ كان حريق حي اللبادين (النوفرة) فسرت النار الى
الاموي ، فأحترقت قسما منه من جهة باب جيرون •

وفي سنة ٥٧٠ أصابه حريق جزئي آخر ، حين احترقت مدرسة
الكلاسة وامتدت النار الى مئذنة العروس فاحترقت •

وفي سنة ٦٤٦ احترقت سلالمة المنارة الشرقية والبيوت التي في
اسفلها وتضعضت •

وفي سنة ٦٨١ كان حريق جزئي آخر ، اذ احترق سوق اللبادين
وسوق جيرون فامتدت النار الى حيطان الجامع ووصلت الى قسم من
السقف •

وفي سنة ٧٤٠ كان الحريق الكبير في دمشق ، فأكلت النار اسواقا
برمتها وكانت خسائر فادحة في الاموال ، ووصلت النار الى الجامع
فاحترقت المئذنة الشرقية وقسم من الجانب الشرقي •
وأصابه حريقان جزئيان سنة ١٠٦٤ وسنة ١١٣١ •

وكان الحريق الثاني الذي شمل المسجد كله هو الحريق الاخير
سنة ١٣١١ وسيأتي حديثه •

أما الزلازل التي تتابعت على المسجد فمنها :

زلزال سنة ١٣١ الذي انشق منه سقف المسجد على طوله •

وفي سنة ٢٣٣ كان زلزال شديد اسقط المنارة فانهارت حجارتها
على المسجد وخربت ربهه وتراكت فيه كأنها جبل •

وفي سنة ٥٥٢ كانت زلزلة عظيمة اسقطت كثيرا مما كان قد بقي
من فصوص الفسيفساء •

وفي سنة ٥٩٧ كانت أشد زلزلة على الاموي اذ أسقطت قسما من
المنارة الشرقية وتشققت منها قبة النسر وقيل أنها سقطت بعد ذلك على
الناس •

وزلزال سنة ٧٠٢ الذي تشققت منه بعض جدران الجامع •
وزلزال سنة ١١٧٣ الذي سقطت منه قبة عائشة وتخرّب بعض
المسجد •

اصلاحات في الاسرى

اما الاصلاحات الكبرى فيه فمنها :

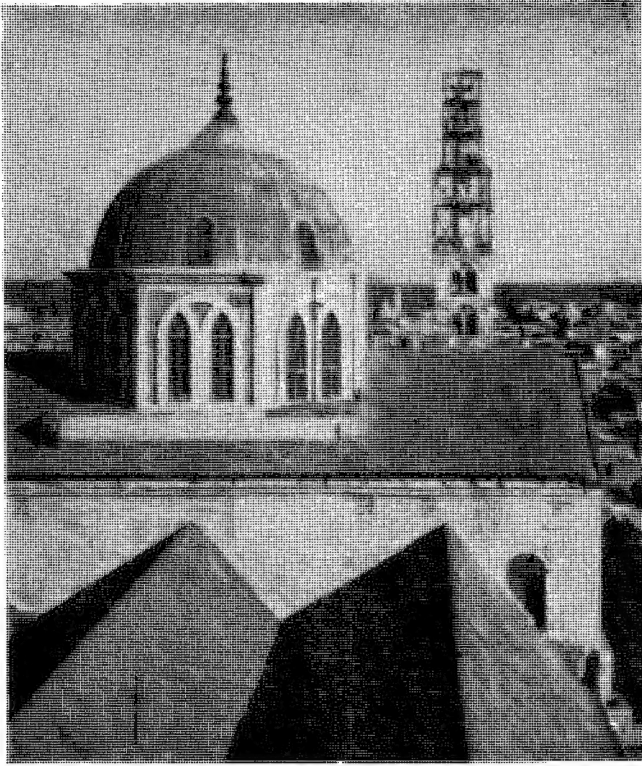
انها جددت عمارة الحائط الشمالي سنة ٥٠٣ ايام المستظهر
العباسي بأمر الوالي طغتكين •

وسنة ٧٢٨ نزع الرخام عن الجدار القبلي من الجهة الغربية فوجد
فيه خلل فحضر تنكز نفسه ومعه القضاة والخبراء وتقرر هدمه واصلاحه
واستأذن السلطان فأذن له ، فعمره واستنفر له الناس ، فتطوعوا للعمل
وأخذوا له حجارة وجدوها في اصل المنارة الغربية المزالة عند
الغزالية ، فتمت العمارة في أقل من ستة اشهر • وفي سنة ٧٢٩ كمل
ترميم الحائط القبلي •

وفي سنة ٧٣٠ رمم الجانب الشرقي حتى صار كالغربي •

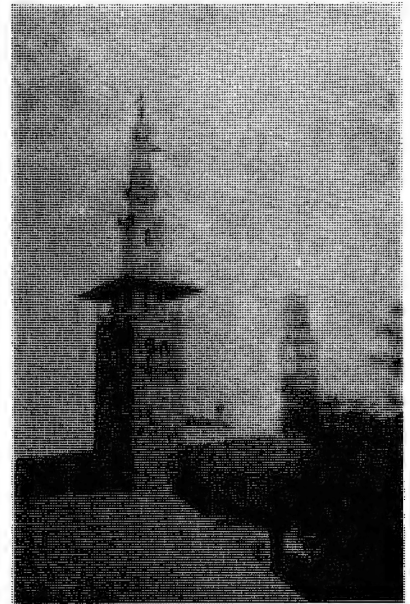
القبة

قبة النسر جددت سنة ٤٧٥ وسقطت المقصورة والطاقت والاركان
الاربعة في عهد نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي •



قبة النسر والمنارة
الشرقية (مئذنة عيسى)
أثناء تجديد أعلاها

مئذنة العروس ومئذنة عيسى
عند تجديد أعلاها



وفي سنة ٥٧٥ جدد صلاح الدين ركنين من القبة •
وفي شوال سنة ٦٠٢ اصلحت عدة من دعائم القبة من جهة
الشمال •

وفي سنة ٦١١ اسندت قبة النسر بأربعة اوتاد من الخشب طول
كل منها ٣٢ ذراعا بذراع العمال جيء بها من بساتين الغوطة •
وفي سنة ٦٧٨ جددت اربعة دعائم في قبة النسر من ناحية الغرب •
أما القبة القائمة الآن فهي والحرم كله من بناء أهل الشام بعد
الحريق الاخير ، كما سيأتي •

المآذن

أما المآذن فقد كان في الزوايا الاربع قبل ان يصير جامعا اربع صوامع ،
فتهدمت الصومعتان الشماليتان من القديم ولم تجددا وبقي أساسهما ،
وأخذ من حجارة الاساس في الصومعة الشمالية الغربية لبناء الجدار
القبلي سنة ٧٢٨ • ولما بنى الوليد المسجد رفع فوق الصومعتين
الاماميتين المئذنتين (الغربية والشرقية) وبنى مئذنة وسط الجدار
الشمالي هي مئذنة العروس وجعلها مذهبة كلها من اعلاها الى اسفلها •
واحترقت المئذنة الشمالية (العروس) في حريق مدرسة الكلاسة
في المحرم سنة ٥٧٠ فجددها السلطان صلاح الدين •

وفي سنة ٦٤٦ احترق القسم الاعلى من المنارة الشرقية وسلاسلها
والغرف التي في اسفلها ، واعادها الملك الصالح الايوبي • وفي اسفل
المنارة الشرقية بيت طهارة وغرفتان • أما الغربية فبأسفلها قاعة بلا ماء
جددها السلطان قايتباي المتوفى سنة ٩٠١ بعد خرابها في حرب
تيمورلنك وكان أول يوم أذن فيها بعد تعجيلها وتجديدها ٢ رمضان
٨١٤ • وأقيم في ذي القعدة ٨١٤ درابزين مئذنة العروس •

وسنة ٨١٦ فرغ من بناء الغريبة وكان قد تخرب رأسها في حرب
تيمورلنك .

وقد جدد النصف الاعلى من مئذنة العروس من نحو خمسين سنة .
ونقض في ايامنا النصف الاعلى من المئذنة الشرقية لخلل ظهر فيه
وأعيد كما كان .

الظاهر

وفي سنة ٥٩٦ جدد مشهد عروة وفتح بعد ما اغلق مدة (وربما
سمي مشهد ابن عروة وكان يسمى قديما مشهد علي ويدعى اليوم
مشهد اليافي وهو معد اليوم للوضوء) .

وفي سنة ٦٦٨ جدد الملك الظاهر مشهد زين العابدين (مشهد
الحسين) بعدما استولى عليه الخراب ، وطرد من كانوا يتخذونه ملجأ
الا واحدا منهم رأى فيه الصلاح والعبادة ، واغلق مدة في أيام العثمانيين
وأهمل فجدهه الوالي سليمان باشا وفتحه .

وفي سنة ٦٩٨ جدد مشهد عثمان (المتخذ الآن بهوا للاستقبال)
باشراف ناظر الجامع الناصر بن عبد السلام وجعل له امام راتب .

الرخام والفياء

في سنة ٦٣٠ جدد ترخيم باب الجامع الشرقي .
جدد الظاهر (١) نحو سنة ٦٦٨ كثيرا من الرخام في الحائط الشمالي
وكثيرا من الفسيفساء في الجدار الغربي ، واصلاح رخامه ورمم وجلب

(١) وسيأتي نص فيه تفصيل ذلك .

له الرخام من كل جهة فكان أحسن مما عمل قديما واتفق في ذلك
عشرين ألف دينار • وفي سنة ٧٢٧ كمل ترخيم الحائط الشمالي بأمر
تنكرز وعهد الناظر ابن المرحل •

وفي سنة ٧٣٠ جمعت فصوص الفسيفساء الباقية لتجعل في الجدار
القبلي للصحن في عهد ابن المرحل ناظر الجامع وبأذن نائب السلطنة
تنكرز والقاضي الاخنائي الشافعي • ولكن ذلك لم ينفذ كما يظهر •
وفي سنة ٧٤٠ جدد الناصر بن قلاوون ترخيم مشهد أبي بكر •

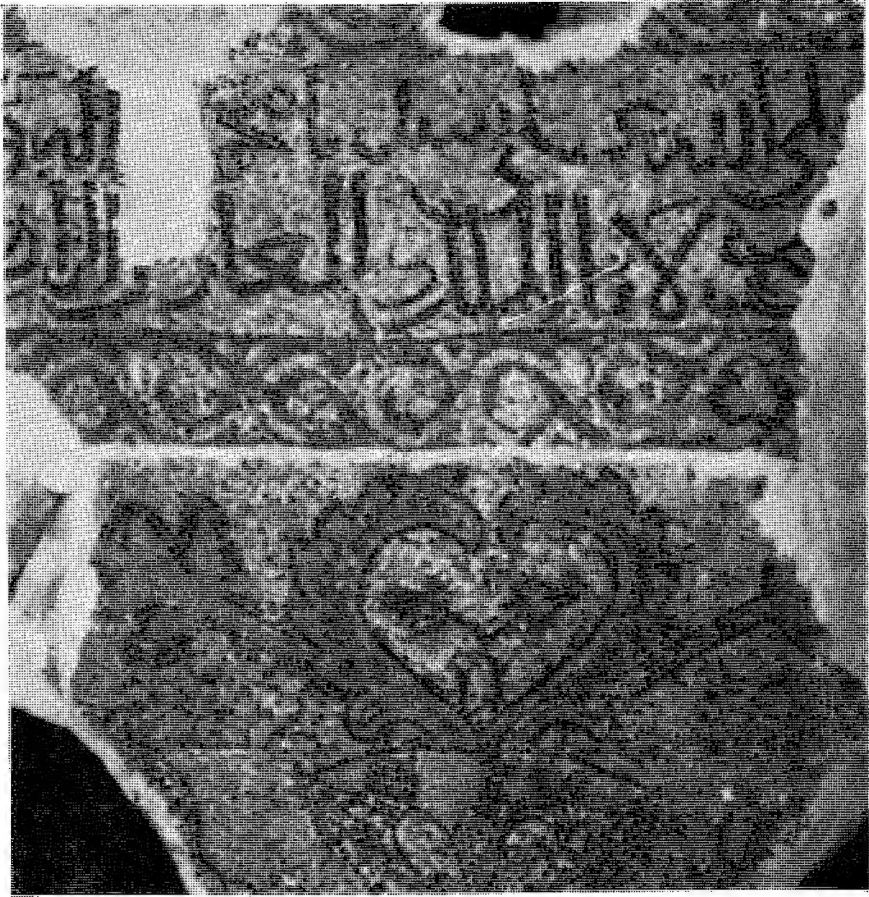




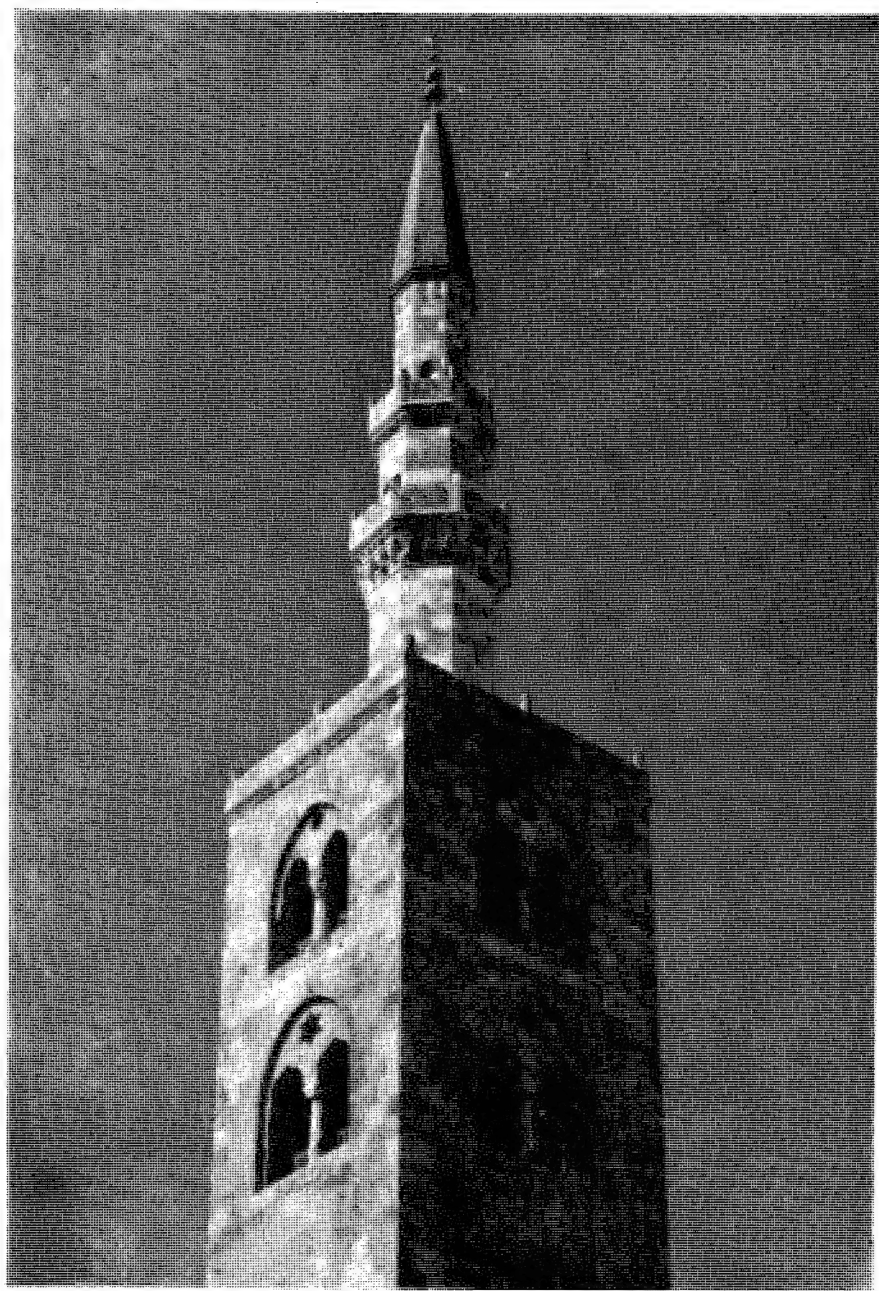
من صور الفسيفساء في الاموي



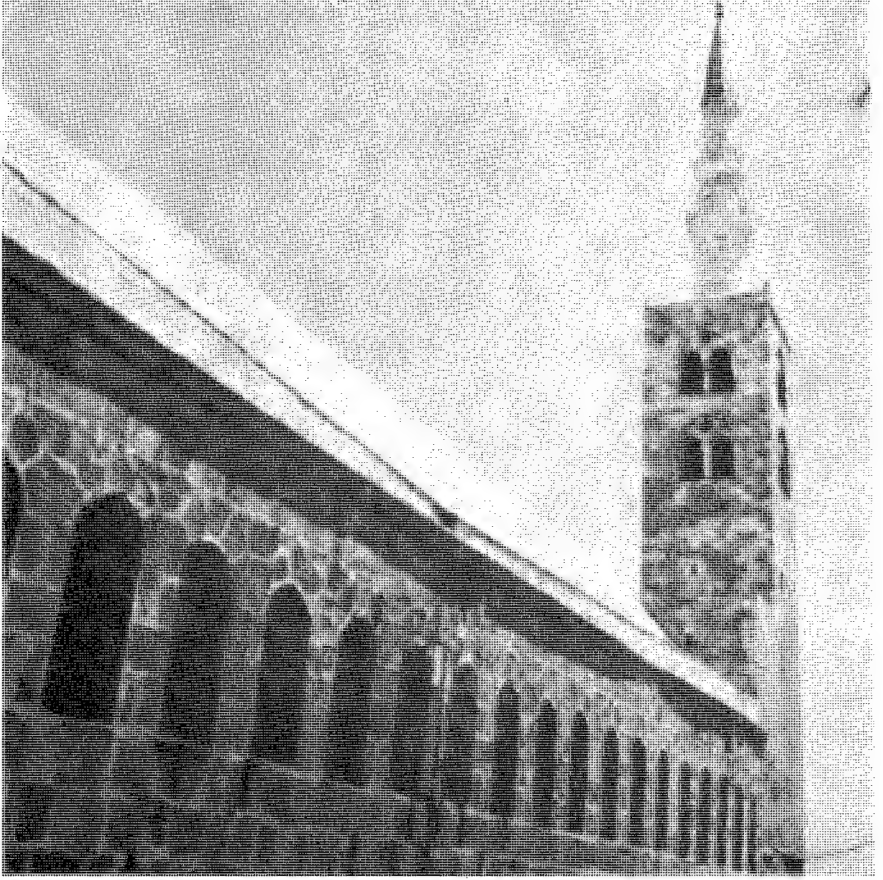
من مناظر الفسيفساء في الاموي



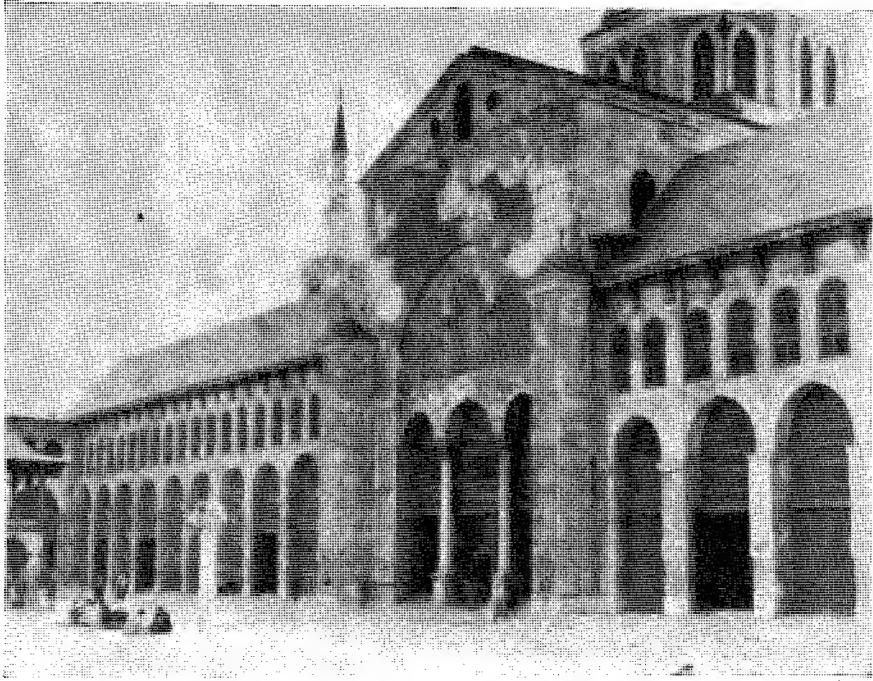
من صور الفسيفساء في الاموي



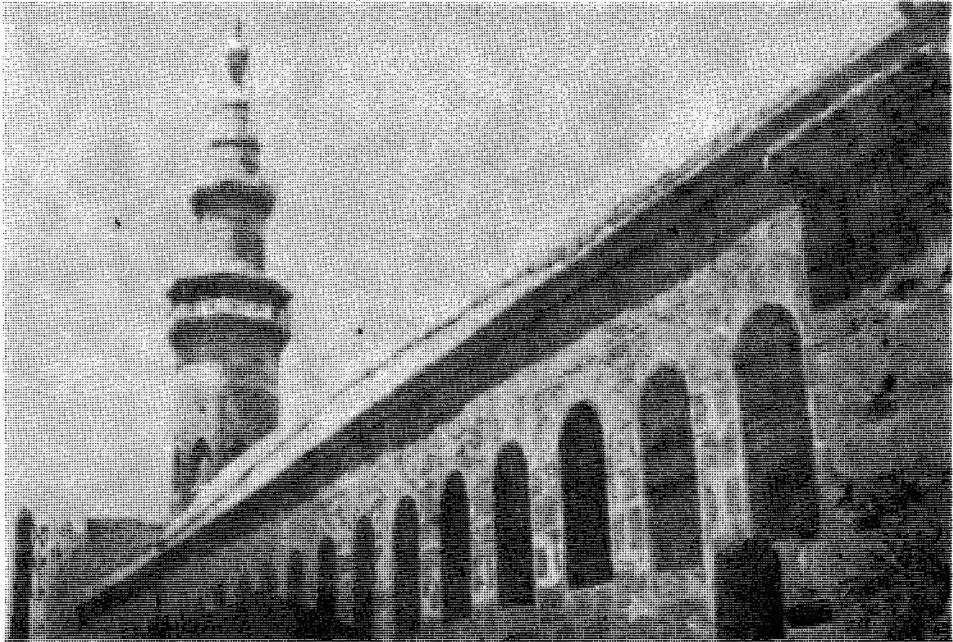
المئذنة الشرقية



المنارة الشرقية (مئذنة عيسى) وقسم من الجدار القبلي



الواجهة الشمالية للحرم كما تبدو من الصحن



المئذنة الغربية مع قسم من الجدار القبلي



المئذنة الفريية

من أخبار الأموي

وفي رمضان سنة ٤١١ أقيم في الصحن عمودان من الشرق والغرب
جعلا لتنوير المسجد وذلك باذن قاضي البلدة وهما موجودان الى الآن .

وفي سنة ٧٣٦ وجد حائط دار الخطابة منشفقاً فخرّب ووجد فيه
حجارة كبار وظهر باب كبير مليح له اسكفة وجوانب والجميع مخرب
فنقلت الحجارة الكبار الى باب الفرج فاستعين بها في بنائه .

وفي سنة ٦٩٩ نظر الملك الظاهر في اوقاف الجامع وما يصرف منها
لارباب الرواتب فمن كان منهم مستغنيا وليس به انتفاع في علم أبطله ،
ومن كان منهم ذا حاجة ولم يكن لديه علم رتب له على بيت المال ما يقوم
به ، وصرف ما كان مقررا لمن أبطله في مصالح الجامع وفيمن للمسلمين
الانتفاع بعلمه ، ورتب فيه مصحفا يقرأ فيه بعد صلاة الصبح تحت قبة
النسر ، وأجرى على القارئ فيه كل شهر شيئا معلوما . وكان بصحن
الجامع الاموي حواصل للمنجنقات ، وحواصل للامراء فيها اشياء من
خيم وغيرها فأمر بازالتها ، فاتسع الجامع وازداد رونقه ، وتطلب كتب
الوقف ، وكانت قد اهلل النظر فيها ، وأجرى الوقوف على شروطها
من واقفيها ، وانما كان المتولي للنظر فيها يعمل بمقتضى رأيه في منعه
واعطائه ، فحملت اليه بعدما شق على الباحث عنها وجودها ، فوجدها
قد تمزق القديم منها ، وما كان وقفه الملك العادل نور الدين محمود
ومن بعده من الملوك قد كادت كتبها تتلف ، فأمر باحياء خطوطها واثباتها
عند سائر القضاة ، واجتهد فيها حسب ما اقتضته آراؤه السعيدة وافعاله
الرشيده ، وكذلك فعل في وقف البيمارستان الكبير ، وليس ذلك بمستكر

من خلأته في إقامة منار الاسلام ، ورفع من خفضه البخوت على
التخوت من العلماء الاعلام ، وكانت سائر الوقوف المرسله على ماوقفت
عليه مضافة الى وقف الجامع الاموي ، وكانت لاتصرف في اربابها ،
وانما تصرف في مرتب الجامع ، فافردها منه ، وولاها من يصرفها على
شروط من وقفها ، وأثبت كتبها كما فعل فيما عداها من الاوقاف
الجامعية والبيمارسانية •

وفي سنة ٨٣٠ كشفوا عن رؤوس الجسور في الجامع فوجدوا
بضعة عشر جسرا تأكلت فاصلحت •

وفي أيام الملك الناصر الايوبي فرض من ماء قنوات زيادة على ماء
باناس (بانياس) للاموي مقدار ١٧ اصبعا •



الأموي في أواخر القرن السادس الهجري

زار ابن جبير الجامع الأموي في أواخر القرن السادس ووصفه في رحلته وصفا دقيقا صادقا ، رأيت أن أثبتته بحروفه في هذه الرسالة ، وأثبت بعده حديثه عن صعوده إلى قبة المسجد .

مساحته

قال ابن جبير : ان ذرعه في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة إلى الجوف مائة خطوة وخمس وثلاثون خطوة ، وهي مائتا ذراع ، فيكون تكسيه من المراجع الغربية أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان الطول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبلة إلى الشمال وبلاطاته (١) المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق إلى الغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عمودا منها أربع وخمسون سارية وثمانية أرجل جصية تتخللها واثنتان مرخمتان ملصقتان معها في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبعد ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الأوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب ، سعة كل رجل منها ستة عشر شبرا ، وطولها عشرون شبرا ، وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة ، فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبرا

أعمدته

(١) ما بين كل صفين من الأعمدة كانوا يسمونه بلاطة وتسمى اليوم (معزبة) .

ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته ، الشرقية والغربية والشمالية ،
سعته عشر خطا وعدد قوائمه سبع واربعون منها أربع عشرة
رجلا من الجص ، وسائرهما سوار ، فيكون سعة الصحن حاشا المسقف
القبلي والشمالي مائة ذراع وسقف الجامع كله من الخارج الواح
رصاص ، وأعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة
بالمحراب سامية في الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم
هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن وتحتة ثلاث قباب (١)
قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت
قبة الرصاص بينهما ، والقبة الرصاصية قد اغصت الهواء ، فاذا استقبلتها
ابصرت منظرا رائعا ومرأى هائلا يشبهه الناس بنسر طائر ، كأن القبة
رأسه والغارب صدره ونصف جدار البلاط عن يمين ونصف
عن شمال جناحاه ، ووسعة هذا الغارب من جهة الصحن ثلاثون
خطوة ، فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر ، لهذا التشبيه
الواقع عليه . ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة
على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع المكرم مائل الى الجهة
الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة ، اربع
وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر ، وفي القبة المتصلة
بالمحراب وما يليها من الجدار اربع عشرة شمسية وفي طول الجدار
عن يمين المحراب ويساره اربع واربعون وفي القبة المتصلة بجدار
الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية وفي
الجامع المكرم ثلاث مقصورات ، مقصورة الصحابة رضي الله عنهم ،
وهي اول مقصورة وضعت في الاسلام وضعها معاوية ابن ابي سفيان
رضي الله عنهما وبازاء محرابها المقاصير عن يمين مستقبل القبلة باب
حديد كان يدخل معاوية رضي الله عنه الى المقصورة منه الى المحراب
وبازاء محرابها لجهة اليمين صلى أبي الدرداء رضي الله عنه وخلفها دار
(١) وهي غير موجودة اليوم .

أروقة
الصحن

قبابه

صورة
النسر

شمسياته

المقاصير

معاوية رضي الله عنه وهي اليوم سماط عظيم للصغار ينصل بطول جدار الجامع القبلي ، ولا سماط أحسن منظرا منه ولا أكبر طولاً وعرضاً ، وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكمايين وطول المقصورة الصحابية المذكورة أربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول ويلها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع حسبما تقدم ذكره ، وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة ، وكانت مقصورة الصحابة أولاً ، في نصف الخط الإسلامي من الكنيسة ، وكان الجدار حيث أعيد المحراب في المقصورة المحدثه ، فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفاً في الجانب الشرقي ، وأحدثت المقصورة الأخرى وسطاً ، حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال • وهذه المقصورة المحدثه أكبر من الصحابية ، وبالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة أخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية محدقة بالاعواد كأنها مقصورة صغيرة وبالجانب الشرقي زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها أحد أمراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي وبالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة (وفي) الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبليّة عشرون باباً متصلة بطول الجدار قد علتها اقواس جصية مخرومة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها أجمل منظر وأحسنه والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على أعمدة وعلى تلك الأعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله • ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها ، وفيه مجتمع أهل البلد ، وهو متفرجهم ومنترهم كل عشية تراههم فيه ذاهبين وراجعين ، من شرق إلى غرب ، من باب جيرون

الزوايا

ابواب الصحن

الشاميون
والجامع

الى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الاخرة ثم ينصرفون ولبعضهم بالغداة مثل ذلك، وأكثر الاحتفال انما هو بالعشي فيخيل لمبصر ذلك أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لا يزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم (الحراثين) وللجامع ثلاث صوامع المآذن واحدة من الجانب الشرقي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها الى اغلاق ، يسكنها أقوام من الغرباء أهل الخير والبيت الاعلى منها كان معتكف أبي حامد الغزالي رحمه الله، وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة ، وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناطقين (باب العمارة) وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي أكبرها وهي قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة يقال انها كانت مخزنا لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف (على ما ذكر لنا) على الثمانية آلاف دينار في السنة وهي خمسة عشر ألف درهم •

قباب
الصحن

وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمثة من الرخام قد الصق أبدع الصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من النحاس يمج الماء الى علو فيرتفع وينثني كأنه قضيب لجين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة ، لكن اصغر منها وفي الجانب الشمالي من الصحن ، باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ابيض مثمثة قد قامت وسط

الشاهد

الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد الماء منه اليها • وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وضعا ، وأجملها بناء ، يزعمون أنه مشهد لعلي بن أبي طالب • يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في أعلاه وأمامه ستر ايضا منسدل يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة رضي الله عنها ، وأنها كانت تسمع الحديث فيه وذلك كله لا اصل له • وإنما ذكرناه لشهرته في الجامع ، وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا وباطنا ، منزلا كله بالفصوص المذهبة ، مزخرفا بأبدع زخارف البناء المعجز الصنعة فأدركه الحريق مرتين ، فتهدم وجدد ، وذهب أكثر رخامه فاستحال رونقه ، فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها ، ومحاربه من اعجب المحاريب الاسلامية ، حسنا وغرابة صنعة ، يتقد ذهابا كله وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات قتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء أجمل منها ، وبعضها حمر كأنها مرجان ، فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع مايتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها حتى ترتمي الابصار منه أشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلي كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه والله يعمره بشهادة الاسلام وكلمته بمنه • وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه وهو المصحف الذي وجه به الى الشام وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقيله ويكثر الازدحام عليه ، وله اربعة ابواب (باب) قبلي ويعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع له اعمدة عظام وفيه حوانيت للخززين وسواهم ،

**زخارف
الجامع**

**القبلة
والمحراب**

**ابواب
الجامع**

وله مرأى رائع ومنه يفضى الى داخل الخيل ، وعن يسار الخارج منه
سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية رضي الله عنه وتعرف بالخضراء •

(وباب) شرقي هو أعظم الابواب ، ويعرف باب جيرون •

وباب غربي ويعرف باب البريد ، وباب شمالي ويعرف باب
الناطقين ، وللشرقي والغربي والشمالي أيضا من هذه الابواب ، دهاليز
متسعة ، ويفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل
الكنيسة فبقيت على حالها ، وأعظمها منظرا الدهليز المتصل باب جيرون
يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض ، قد قامت أمامه
خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة طوال ، وفي وجه اليسار منه
مشهد كبير خفي كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم
نقل الى القاهرة وبازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه ، وبذلك المشهد ماء جار ، وقد انتظمت أمام البلاط ادراج
ينحدر عليها الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع
ينحسر الطرف دونه سموا ، وقد حفته أعمدة كالجدوع طولاً وكالاطواد
ضخامة ، وبجانب هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة
فيها الحوانيت المنتظمة للعطارين وسواهم ، وعليها شوارع أخرى
مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرء مشرفة على الدهليز وفوقها سطح
يبست به سكان الحجر والبيوت • وفي وسط الدهليز حوض كبير
مستدير من الرخام ، عليه قبة تحملها أعمدة من الرخام ، ويستدير بأعلاها
طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء ، وفي وسط الحوض
الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء أزيد من القامة ،
وحوله أنابيب صغار ترمي الماء الى علو فيخرج عنها كقضبانات
اللجين ، فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من
أن يلحقه الوصف •

الدهليز
الشرقي

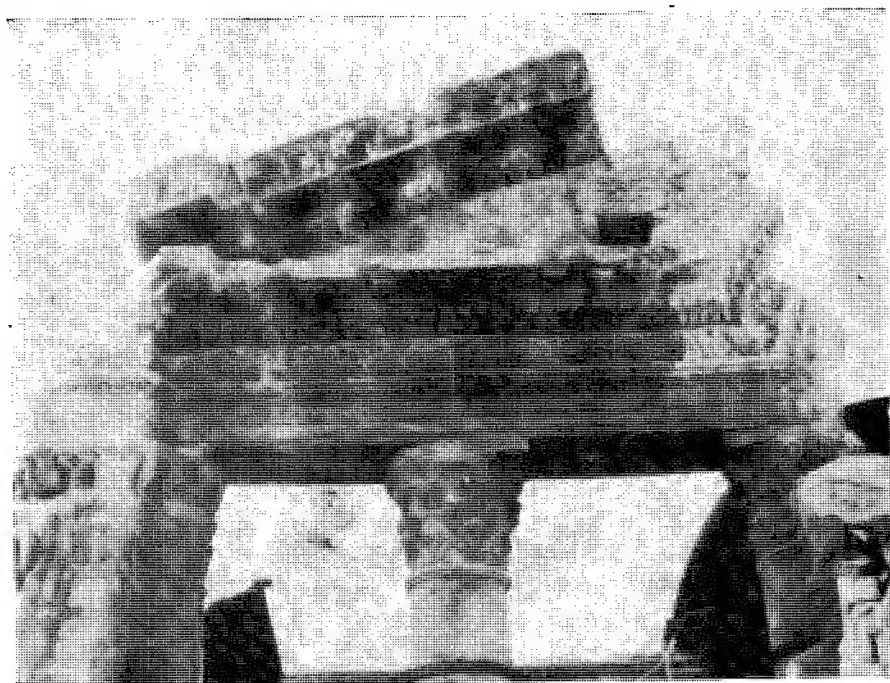
الفوارة

الساعة

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر فتحت ابوابا صغارا على عدد ساعات النهار ، وقد دبرت تدييرا هندسيا ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجان من صفر من فم بازين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما طاستين احدهما تحت اول باب من تلك الابواب ، والثانية تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان اعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين يلوح من الصفر ، لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار ، حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات . ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك في أن في القوس المتعطف على الطيقان المذكورة اثنتا عشرة دائرة من النحاس ، مخروطية وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها ، يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس المنجاة .

الدهليز الغربي

ودهليز الباب الغربي فيه حوانيت البقالين والعطارين وفيه سماء لبيع الفواكه ، وفي أعلاه باب عظيم يصعد اليه على أبراج ، وله أعمدة سامية في الهواء ، وتحت الابراج سقايتان مستديرتان سقاية يميننا وسقاية يسارا ، لكل سقاية خمسة انابيب ترمي الماء في حوض رخام مستطيل .



بقايا الدهليز الغربي للاموي

الدھليز الشمالي

ودھليز الباب الشمالي فيہ زوايا على مساطب محدقة بالاعواد ، هي محاضر لمعلمي الصبيان ، وعن يمين الخارج في الدھليز خانقة مبنية للصوفية ، في وسطها صھريج يقال أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ولها خبر سياًتي ذكره بعد هذا ، والصھريج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مظاهر يجري الماء في بيوتها ، وعن يمين الخارج أيضاً من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صھريج يجري الماء فيه ، ولها مظاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة عمودان متباعدان لهما رأسان من الصفر مستطيلان قد خرما أحسن تخريم ، يسرجن ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان •

واحتفال أهل هذه البلدة بهذه الليلة المذكورة أكثر من احتفالهم ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم •

القراء

وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم كل يوم أثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن دائماً ، ومثله أثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية ، يقرؤون فيها من سورة الكوثر الى الخاتمة ، ويحضر في هذا المجتمع الكوثرية كل من لا يجيد حفظ القرآن ، وللمجتمعين على ذلك اجراء كل يوم يعيش منه أزيد من خمسمائة انسان ، وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم ، فلا تخلو القراءة منه صباحا ولا مساء •

الحلقات والدروس

وفيه حلقات للتدريس للطلبة ، وللمدرسين فيها اجراء واسع ، وللمالكية زاوية للتدريس على الجانب الغربي يجتمع فيه المغاربة ولهم اجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة ، وأغرب ما يحدث به ، أن سارية من سواريه هي بين المقصورتين القديمة والحديثة لها وقف معلوم يأخذه المستند اليه للمذاكرة والتدريس ، أبصرنا بها فقيها من أهل اشبيلية يعرف بالمرادي ، وعند

فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحا يستند كل انسان منهم الى سارية ويجلس أمامه صبي يلقيه القرآن ، وللصبيان أيضا على قراءتهم جراية معلومة ، فأهل الجدة من الآباء ينزهون أبناءهم عن أخذها ، وسائرهم يأخذونها ، وهذا من المفاخر الاسلامية ، وللايتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير يأخذ منه المعلم له ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم ، وهذا أيضا من أغرب ما يحدث به من مفاخر هذه البلاد وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد الشرقية ، كلها انما هو تلقين ، ويعلمون الخط في الاشعار وغيرها تزويها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو ، وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة والمكتب على حدة ، فينفصل من التلقين الى التكتيب لهم في سيرة حسنة ، ولذلك ما يتأتى لهم حسن الخط لان المعلم له لا يشتغل بغيره ، فهو يستفرغ جهده في التعليم ، والصبي في التعلم ، كذلك ويسهل عليه لانه بتصوير يحذو حذوه .

ويستدير بهذا الجامع المكرم اربع سقايات ، في كل جامع سقاية ، كل واحدة منها كالدار الكبيرة محدقة بالبيوت الخلائية ، والماء يجري في كل بيت منها وبطول صحنها حوض من الحجر مستطيل ، تصب فيه عدة انايب منتظمة بطوله ، واحدى هذه السقايات في دهليز باب جيرون وهي أكبرها ، وفيها من البيوت نيف عن الثلاثين ، وفيها زائداً على السقاية المستطيلة مع جدارها حوضان كبيران مستديران يكادان يمسكان لسعتهما عرض الدار المحتوية على هذه السقاية ، والواحد بعيد عن الآخر ، ودور كل واحد منهما نحو الاربعين شبرا والماء تابع فيهما . والثانية (١) في دهليز باب الناطقين بازاء المعلمين . والثالثة عن يسار الخارج من باب البريد . والرابعة عن يمين الخارج من باب الزيادة .

(١) هذه قد اندثرت والثلاث الأخر باقيات .

وفيه مشهد رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وهو مدفون بالجامع المكرم في البلاط القبلي قبالة الركن الايمن من المقصورة الصحابية ، رضي الله عنهم • وعليه تابوت خشب معترض من الاسطوانة وفوقه قنديل كأنه من بلور مجوف ، كأنه القدح الكبير ، لا يدرى أمن زجاج عراقي أم صوري هو أم غير ذلك •

صعوده إلى القبة

ومن أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغريبة الشأن ، وهياكلها الغريبة البنيان المعجزة الصنعة والافتقان ، والمعترف بوصفها بالتقصير ، لسان كل بيان ، الصعود الى اعلى قبة الرصاص المذكورة في هذا التقييد القائمة وسط الجامع المكرم ، والدخول في جوفها ، واجالة لحظ الاعتبار في بديع وضعها مع القبة التي في وسطها كأنها كرة مجوفة داخلية في وسط كرة أخرى أعظم منها •

صعدنا اليه في جملة من الاصحاب المغاربة ، ضحوة يوم الاثنين الثامن عشر لجمادى الاولى سنة ٥٨٠ من مرقى في الجانب الغربي من بلاط الصحن ، كان صومعة في القديم ، وتمشينا على سطح الجامع المكرم وكله الواح رصاص منتظمة ، كما تقدم الذكر لذلك ، وطول كل لوح اربعة اشبار وعرضه ثلاثة اشبار ، وربما اعترض في الالواح نقص أو زيادة ، حتى انتهينا الى القبة المذكورة ، فصعدنا اليها على سلم منصوب والريخ تكاد تطير بنا ، فجبونا في الممشى المطيف بها وهو من رصاص وسعته ستة اشبار فلم نستطع القيام عليه لهول الموقف فيه ، فأسرعنا الولوج الى جوف القبة ، على أحد شراجيها ، المفتحة في الرصاص ، فأبصرنا رأى تحار فيه العقول وتقف دون ادراكه هبة وصف الافهام ، وجلنا على فرش من الخشب العظام ، حول القبة الصغيرة الداخلة في جوف الرصاصية على الصفة التي ذكرناها ، ولها

طيقان يبصر منها الجامع ومن فيه ، فكنا نبصر الرجال فيه كأنهم الصبيان وهذه القبة مستديرة كالكرة ظاهرها من خشب قد شد باضلاع من الخشب الضخام ، موثقة بمناطق من الحديد ينعطف كل ضلع عليها كالدائرة ، وتجتمع الاضلاع كلها في مركز دائرة من الخشب اعلاها ، وداخل هذه القبة وهو ما يلي الجامع المكرم خواتيم من الخشب منظم بعضها ببعض قد اتصلت اتصالا عجيبا ، وهي كلها مذهبة بأبداع صنعة من التذهيب مزخرفة التلوين بديعة القرنصة يرتمي الابصار شعاع ذهبها ، وتتحير الالباب في كيفية عقدها ووضعها لافراط سموها .

أبصرنا من تلك الخواتيم الخشبية ، خاتما مطرعا جوف القبة ، لم يكن طوله اقل من ستة اشبار في عرض أربعة وهي تلوح في انتظامها للعين كأن دورة كل واحد منها شبر او شبران ، الغاية لعظم سموها . والقبة محتوية على هذه القبة المذكورة ، وقد شدت ايضا باضلاع عظيمة من الخشب الضخام موثقة الاوساط بمناطق الحديد وعددها ثمان واربعون ضلعا ، بين كل ضلع وضلع ، أربعة اشبار ، قد انعطفت انعطافا عجيبا ، واجتمعت اطرافها في مركز دائرة من الخشب ، أعلاها ، ودور هذه القبة الرصاصية ثمانون خطوة وهي مائتا شبر وستون شبرا والحال فيها أعظم من أن يبلغ وصفها . انما هذا الذي ذكرناه ندبة يستدل بها على ما وراءها وتحت الغارب المستطيل المسمى النسر الذي تحت هاتين القبتين مدخل عظيم هو سقف للمقصورة بينه وبينها سماء خاص مزينة ، وقد انتظمت فيه من الخشب ما لا يحصى عدده ، وانعقد بعضها ببعض ، وتقوس بعضها على بعض ، وتركبت تركيبا هائلا منظره ، وقد ادخلت في الجدار كله دعائم القبتين المذكورتين ، وفي ذلك الجدار حجارة كل واحد منها وزن قناطير مقنطرة ، لا تنقلها الفيلة ، فضلا عن غيرها ، فالعجب كل العجب من تطليعها الى ذلك الموضع المفرط السمو ، وكيف تمكنت القدرة البشرية لذلك ، فسبحان من الهم عباده الى هذه

الصنائع العجيبة ومعينهم على الثاني لما ليس موجودا في طبائعهم البشرية ومظهر آياته على ايدي من يشاء من خلقه لا اله سواه • والقبتان على قاعدة مستديرة من الحجارة العظيمة، قد قامت فوقها أرجل قصار ضخام من الحجارة الصم الكبار وقد فتح بين كل رجل ورجل شمسية واستدارت الشمسيات باستدارتها ، والقبتان في رأي العين واحدة • وكنينا عنها باثنتين لكون الواحدة جوف الاخرى والظاهر منها قبة الرصاص •

ومن جملة عجائب ما عايناه في هاتين القبتين أننا لم نجد فيهما عنكبوتًا ناسجًا ، على بعد العهد من التفقد لهما من أحد ، والتعهد لتنظيف مساحتهما • والعنكبوت في امثالهما موجود كثير ، وقد كان حقق عندنا ان الجامع المكرم لا تنسج فيه العنكبوت ولا يدخله الطير المعروف بالخطاف •

وقد تقدم ذكرنا لذلك في هذا التقييد فانصرفنا منحدرين وقد قضينا عجا عجا بما من هذا المنظر العظيم •

الأموي في القرن السادس

وقد زار المسجد الرحالة ابن بطوطة ، في اوائل القرن الثامن ، ووصف المسجد ، وليس في وصفه اختلاف كبير عن وصف ابن جبير •



الحريق الأخير

اجدادنا الاولون كانوا أهل حزم وعزم ، وكانوا اصحاب فكر وبيان ، فكتبوا تاريخهم كله ، وسجلوا امجادهم ومعايهم ، وأخبار جدهم وهزلهم ، فنحن نعرف عن القرون الاولى التي مر عليها أكثر من ألف سنة كل شيء كأننا نعيش فيها ، ونجهل من أخبار القرون الاخيرة كل شيء ، لا سيما القرن الماضي .

وهذا شيء عجيب ولكنه الواقع .

وأنت اذا اردت أن تعرف قصة حريق الاموي مثلا ، لم تجد لها في تاريخ من التواريخ مع أن في دمشق مئات ممن شهدوا بعينه .

لذلك اعتمدت في هذا الحديث على ما حدثني به استاذنا الاكبر الشيخ المعمر الجليل عبد المحسن أفندي الاسطواني ، وهو حفظه الله ، أعجوبة العجائب ، جاوز المئة (١) من السنين ولا يزال في حدة ذهنه وقوة ذاكرته ، وكثرة علمه ، وسرعة بادرته ، وحضور نكته كما كان في شبابه . وعلى ما حدثني به الشيخ حمدي الحلبي حفيد علامة الشام الشيخ سعيد الحلبي ، وهو متولي الجامع الآن ومن أعلم الناس بتاريخه واحواله . كما اعتمدت على ما كتب العلامة الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي ومختار بك العظم رحمهما الله . وهو وصف مختصر جدا نشره الدكتور صلاح الدين المنجد أحسن الله اليه بمقدار ما احسن الى تاريخ دمشق وآثارها ومخطوطاتها .

وبعد فهذه هي القصة :

كانت ضحوة يوم السبت رابع ربيع الثاني سنة ١٣١١ هـ (أي من

(١) جاوز الآن المئة والعشر ولا يزال ذهنه حاضرا ، وذاكرته قوية ، ولا يزال يرجع اليه ويستفتى مد الله في عمره .

نحو سبعين سنة قمرية) ، وكانت دمشق آمنة مطمئنة والناس منصرفون الى اعمالهم في الاسواق المطيفة بالاموي ، والنساء في بيوتهن الحافة بالجامع ، فما راعهم الا صريخ يصرخ ، كأنه النذير العريان : أن لقد احترق الاموي ، فترك التجار مخازنهم مفتوحة ووثبوا ينظرون ، وصعد النساء على السطوح ، وتراكن الناس من كل جهة ، واذا الدخان ينبعث من سقف الجامع ، ولم يكن في دمشق مصلحة اطفاء (وقد انقضت على أثر الحادث) وحر الناس ماذا يصنعون ، فاستبقوا الى سجاد المسجد ومصاحفه يخرجون ما يصلون اليه منها ، وعمد بعضهم الى الماء يصبونه ، والى المعاول عليهم يحصرون النار ، ولكن النار كانت أسرع منهم ، اذ كان خشب السقف قديما جافا ، وعليه من الاصبغة والادهان طبقات ، فما شم رائحة النار حتى التهب كله دفعة واحدة ، كأنما قد صب عليه البنزين ، وكانت الرياح في ذلك اليوم غربية شديدة ، فما مرت نصف ساعة حتى صار السقف كله شعلة واحدة ، وجعلت قطع النيران تتساقط من كل مكان ، فالتهب المسجد كله ، ولم يعد أحد يستطيع ان يقترب منه ، فوقفوا ينظرون وكأن النار التي تأكل مسجدهم تأكل قلوبهم ، ولكن العجز امسكهم وقيدهم ، وكانت عمد المسجد قديمة اكثرها مكسور ومربوط باطواق الحديد ، فتشقق من النار ، ثم هوى البناء كله ، وزلزلت الارض ، وكانت ساعة من ساعات الهول ، وامتدت النار تسوقها الرياح الغربية الى سوق القباقيصة والقوافين وزقاق الحمراوي ، وانجلى الدخان عن الخراب الشامل ، لم يبق من الاموي الا المشهدان عند باب البريد ورواق الصحن ، عدا الرواق الممتد بين باب النوفرة الى مشهد الحسين ، فقد ناله الحريق فتضعف ، وأصاب الحريق المنارة الغربية •

وامامي الآن صورة نشرها الدكتور المنجد للاموي بعد الحريق ، ما فيها الا جدار الحرم الشمالي (من جهة الصحن) والواجهة المثلثة

العالية ، أما السقف كله والقبة فلم يبق منه أثر ، ذهب المسجد كله في ساعتين ونصف الساعة ، المسجد الذي اتفقت فيه الاموال والاعمار ، وعملت في بنائه الافكار والايدي الفا وثلاثمئة سنة ، ذهب كله في مئة وخمسين دقيقة فقط ، ذهب في سبيل نارجلة •

ذلك ان عاملا من العمال كان يصلح رصاص السقف ، في المعربة الوسطى من الجهة الغربية ، فأعجبه المنظر ، وهاج في نفسه الشوق الى نفس دخان ، فجاء بنارجيلة وأوقد نارا ليشعلها ، فأشعل النار في الاموي •

خلت دمشق من مسجدها ، ولكن ما خلت النفوس من ايمانها ، وحط سقفه وجدرانه ، ولكن ما حط فرض الصلاة عن الناس ، وماذا يضر المصلي ان هوت قبة المسجد وامّحت روائعه ، وطمست نقوشه ، ومسجد محمد الذي بني على التقوى ، والذي كان مشرق النور على الدنيا ما كانت له قبة ولا كانت فيه نقوش ، انما هو سقيفة من اللبن والخشب ، وماذا ان بقي بلا مسجد والارض كلها للمسلم مسجد ومصلى •

لذلك كانت الفاجعة في الاموي الضحى ، وأقيمت الصلاة في الاموي الظهر • أقيمت الصلاة ، اقامها العالم الورع الشيخ عبد الحكيم الافغاني في الصحن وراء البحرة والناس وراءه • فكانت النار لا تزال بقاياها في ارجاء المسجد ، وهم يركعون ويقولون : الله اكبر ، الله اكبر من الجامع ، فاذا ذهب الجامع فالله باق ، والصلاة باقية ، لا يشغل المؤمن عن صلاته شيء في الدنيا مهما كبر ، لان الصلاة لله ، والله اكبر •

صلوا في الصحن ، ثم عمدوا الى المشهد الغربي الذي بقي سالما ، فنقلوا اليه بعض مفروشات الجامع ، واقاموا له منبرا صغيرا للخطابة ، وعمروا سدة صغيرة للمؤذنين ، وصارت تقام الجمعة فيه ، وكان المشهد الثاني (المعروف اليوم بمشهد الغزي) وهو الآن بهو الاستقبال ،

مستودعا للوزن الجامع ، ففرغ ودفن وفرش وفتح بابه القبلي ، فصار المشهدان (القائمان على طرفي باب البريد) معدين للصلاة ، وكان المشهد الشرقي قد احترق كله ، ومشهد الحسين قد احترق بعضه ، فبذل الناس لاصلاحهما ، فجدا وأعدا للصلاة قبل حلول شهر رمضان . ثم انصرف الناس الى تنظيف الجامع ، وكان من الانقراض المتراكمة كأنه تل عظيم ، وتناوبوا على تنظيفه ، يشغل أهل كل محلة يوما ، يجيئون جميعا كهولهم وشبابهم ، اغنياءهم وفقراءهم ، يعملون بأيديهم ايمانًا واحتسابًا ، ينقلون التراب والحجارة ، ويتسابق الاغنياء الى اطعامهم ، فيتكفل أغنياء الحي باعداد الطعام للعاملين ، فيتغدون في المسجد ، فكان ذلك مظهرًا رائعًا للاخوة والبذل ، وغدا الناس كأنهم أسرة واحدة ، يعملون جميعا في بيت الله ، وينزلون ضيوفا عليه ، حتى اذا نظف المسجد من الانقراض ، الفت في كل حي لجنة لجمع المال لعمارة المسجد ، وهبت دمشق احدى هباتها المؤمنة العجيبة ، وتراحم الناس على البذل ، فمنهم من خرج عن ماله كله ، ومنهم من أعطى نصف ماله ، وكل ساعد بعقله وبفنه وبصناعته ، والفقير عمل مجانا بيده ، وأنتم تذكرون ما صنعت دمشق في اسبوع التسليح القريب ، فكبروا ذلك عشر مرات تروا ما صنعت دمشق لبناء الجامع .

وكان الكشف وقد رت تفقات البناء بسبعين الف ليرة ذهبية ، واذا نظرنا الى القوة الشرائية لكل ليرة وجعلنا الخبز مقياسا وحسبنا سعره يومئذ وسعره اليوم رأينا المبلغ يعادل عشرين مليون ليرة من نقد هذه الايام .

ونظروا فاذا الاعمدة التي كان يقوم عليها سقف الحرم قد تكسرت وفكروا في اعمدة جديدة ، واختلف الرأي فيها ، من أين يؤتى بها وكيف تنقل ، ثم أخذوا برأي السيد عبد الله الحموي ، فقرروا ان تقطع الاعمدة من جبال المرة ، ولكن كيف يؤتى بها ؟

هنا تظهر عظمة هذا الرجل الذي لم يكن مهندسا ولم يكن متعلما •
لقد عرض عليهم ان يعمل عربة مستطيلة واطية تجرها الثيران ، لها
ملاقيط من تحتها فهي تلتقط العمود ، وتحمله من المزة الى المسجد ،
وشكوا في ذلك ، فخبّرهم انه رأى مثلها في مقاطع الحجارة في ايطاليا،
فأقروه على صنعها ، فصنعت بارشاده ، وصارت تحمل العمود الهائل
من الاعمدة القائمة اليوم في الاموي وتأتي به يحف بها الناس والشباب
بالعروض والاهازيج •

ولما وصل العمود الاول وشكرت اللجنة للسيد الحموي ما صنع ،
ضحك وقال لهم : اخبركم الآن بالحقيقة ، أنا لم أر مثل هذه العربة في
ايطاليا ، ولا ذهبت اليها ولا الى غيرها ، ولكنني خفت أن اقول لكم ،
انها من اختراعي فلا تقبلوها مني فزعمت اني رأيتها في ايطاليا •
وهذه العربة لا تزال موجودة ، ارجو ان توضع في المتحف ، لتعرض
دليلا على العبقرية الشامية •

وشرع في البناء سنة ١٣١٤ هـ ولم يبق في دمشق صاحب فن الا
وضع فنه في عمارة المسجد ، ولا عامل الا قصر عمله على المسجد ، وكان
يشتغل فيه كل يوم أكثر من خمسمئة عامل ، فما مرت سنتان حتى انجز
بناء النصف الشرقي من المسجد وفرش بالسجاد وعلقت فيه الثريات
والمصابيح وأقيم حاجز من الخشب من غريبه ووضع المنبر الى جنب
محراب المالكية ، وافتتح في رمضان سنة ١٣١٦ هـ في حفلة ضخمة حضرها
الوالي والعلماء والوجهاء •

ثم بدىء بالقسم الآخر ، وكان اول ما بني منه محراب الحنفية ،
وزخرفوه هذه الزخرفة التي ترى الآن وبلغت نفقات بناء المحراب كما
خبرني الاستاذ الاسطواني الف ليرة ذهبية ، وقد لام الناس اللجنة على
البداء به ، فاحتجت بأنه لو لم يبدأ به لما بني •

وتم بناء القسم الاوسط من المسجد في منتصف شعبان سنة ١٣١٨
واكتمل البناء كله واحتفل بافتتاحه في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠
بعد الحريق بتسع سنين فقط .

وبعد يا أيها القراء فان هذا المسجد العظيم الذي يقطع السياح نصف
كرة الارض ليشاهدوه ويعجبوا من عظمته وجلاله ، وهذه القبة السامقة
التي لا يطاولها بناء في دمشق ، بل تبدو العمارات معها كالصبية الصغار
مع الرجل الطوال ، وهذا الزخرف وهذا الجمال ، كله من صنع أهل
دمشق ، أنفقوا عليه من اموالهم ، وعملوه بأيديهم ، وان الذين هندسوه
وعمروه كانوا جماعة من التجارين الشاميين الذين لم يدرسوا في مدرسة
ولم ينالوا شهادة في الهندسة ، الحموي ومعاونوه والتوام وملص واخوانهم ،
وان الذين نقشوه هذا النقش البارع الذي جاء على مثال النقش القديم
وأرنبى عليه هم اولاد ابي نجيب الدهان الشامي العامي ، وانهم هم الذين
صنعوا هذه الشبايبك العجيبة الثلاثة التي هي فوق المحراب ، والثلاثة
المقابلة لها .

لقد بنت دمشق هذا المسجد العظيم على قلة العلم يومئذ ، وضعف
الادوات ، وفقد الآلات ، ليقوم دليلا على ان الايمان والاخلاص يصنعان
كل شيء .

فاذا شككنتم في ان الايمان يعمل العجائب ويأتي بالخوارق ، فهاكم
قبة الاموي قائمة تنطق ، شاهدة بأن الايمان قوة تدحر القوي ، وكنز
يزري بالكنوز .

ورحمة الله وتحياته وبركاته على كل من شارك بسلطانه أو بيده أو
بفكره في اقامة هذا الصرح المبارك ، من لدن معاوية والوليد الى يوم
الناس هذا ، وعلى كل من سيعمل فيه في الايام القادما ، وجزاهم الله
جميعا خيرا الجزاء .

الاصلاحات الجديدة

تقرير من مهندس الاوقاف
السيد مكيـن المؤيد

ان الفترة التي تؤرخ لها الآن تنحصر فيما بين عام ١٩١٩ ميلادية
وعام ١٩٥٩ أي ابتداء من انتهاء الحرب العالمية الاولى .

ويمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل . المرحلة الاولى وتبتدىء من عام
١٩١٩ لغاية عام ١٩٤٠ ، والمرحلة الثانية وتبتدىء من عام ١٩٤١ لغاية
عام ١٩٤٩ ، والمرحلة الثالثة وتبتدىء من عام ١٩٥٠ لغاية عام ١٩٥٩ .

المرحلة الاولى

جرت اصلاحات المرحلة الاولى بمعرفة دائرة الاوقاف واشراف القائم
بالنظارة على الجامع . وقد بلغت تكاليف هذه الاصلاحات نحواً من
الفي ليرة عثمانية ذهبية . ومن اهم الاعمال التي تمت خلال هذه المدة :
تبليط باحتي مدخل بابي البريد والنوفرة الداخلين بالرخام . وترخيم
جدران باب البريد ، وتركيب البلاط القاشاني ، وتبديل العمود الكبير
في باحة الاموي في الجهة الشرقية الشمالية . واصلاح المنارة الغربية
اذ رمت الدرابزينات وجدد الهلال النحاسي . وتركيب سطرين من
القاشاني المنقول من قبة الوزير (أقوش النجبي) في السويقة ، فوق
محراب الحرم الكبير يتضمنان آيات قرآنية من سورة الرحمن . ونزع
الكلسة عن السيفساء واكمل النواقص في مدخل باب البريد والرواق

الغربي • وعمل مجاري الماء في الجملونات (سطح الحرم) من (بيتون) مسلح بدلا عن مجاري الرصاص التي كانت ترشح منها المياه الى خشب السقف • واصلاح الرخام المشقف في محراب الشافعي • وتبليط القسم الشرقي من ارض باحة الصحن ببلاط احمر مزي •

المرحلة الثانية

اشتركت في الاصلاحات في هذه الفترة دائرة الاوقاف ومديرية الآثار وقد بلغت تكاليفها مئة الف ليرة سورية تقريبا • وهذه أهم الاعمال التي تمت خلال هذه الفترة :

في عام ١٩٤١ تم فك القسم العلوي من المثلث المتصدع من منارة سيدنا عيسى (أي الشرقية) ، واعادته مجددا كالسابق، وتم ترميم وتصليح وتكحيل القسم السفلي من بقية المنارة ، وجددت الدرابزينات الخشبية وفي عام ١٩٤٢ تم اصلاح الفسيفساء الآيل للسقوط في قوس الزاوية الشمالية الغربية • ومن عام ١٩٤٣ لغاية عام ١٩٤٧ تمت الاعمال الآتية :

أ - بعد تدعيم الجدران وتأمين الاخطار وتعليق الاقواس العلوية والسفلية في الباحة ، من جدار الرواق الشمالي لجهة الشرق • فك القسم الاول المتداعي المائل •

ب - فكت العضادة الحجرية المتصدعة ، والاقواس في الزاوية الشرقية ، وكشف سقف الرواق الخشبي • وفكت الاحجار العاطلة من اساسات الجدران •

ج - اعيد البناء كما كان بعد ازالة الاحجار المفتتة والمتصدعة والعاطلة ، واعيدت العضادة والاقواس • وجرى تركيب العمود السفلي الكبير مجددا بدلا عن القديم البالي • كما جرى تبديل العمود العلوي الصغير مجددا بدلا عن القديم •

ثم فك القسم الثاني المتصدع من الجدار الشمالي المذكور • ثم
اعيد بناؤه من جديد •

واخيرا فك القسم الثالث من الجدار المذكور الواقع خلف الرواق
عند بيت المؤذنين وازيل القسم العاقل منه واعيد مجددا بعد ترميم
وتصليح الاساسات •

ومن ١٩٤٨ الى ١٩٤٩ تمت الاصلاحات الآتية :

كشف قسم من الممر الذي عشر عليه تحت باحة باب النوفرة الخارجية
وتحرر من الردم واصلحت جدرانه وسقفه • وتم هدم الجدار الخارجي
الواقع جنوبي مدخل النوفرة نظرا لتصدعه واعيد بناؤه مجددا • ثم
جرى اصلاح الجدار المقابل الواقع شمالي مدخل النوفرة خلف مشهد
الحسين وتم تكميله • ورممت الواجهة الخارجية لمدخل النوفرة وكحلت
بالاسمنت • واخيرا جددت الاعمدة الاربعة المتصدعة في الزاوية الشمالية
الغربية للرواق مع قواعدها •

المرحلة الثالثة

وتبتدىء من ١٩٥٠ الى نهاية ١٩٥٩ واعمال هذه الفترة جرت بمعرفة
مديرية الاوقاف في دمشق وتحت اشراف مديرية الآثار • وقد بلغت
تكاليفها ٣٦٥ الف ليرة تقريبا • ومن أهم الاعمال التي تمت خلال هذه
الفترة الاعمال الآتية : في عام ١٩٥٠ هدم جدار المشهد الشرقي للحرم
(الشهير بالسفرجلاني) المتصدع من جراء الحريق واعيد بناؤه مجددا مع
تجديد اساساته ، ثم جرى تبليط ارض المشهد المذكور واصلاح محرابه
وانشء به موصاً وخزان للمياه •

وفي عام ١٩٥١ فكت الاقواس الثلاثة العاطلة في الرواق الشمالي

القسم الشرقي منه ، وابدل العمودان الحجريان العاطلان بعمودين كبيرين وتم تجديد الاساسات • ثم اعيدت الاقواس وما فوقها • وجرى تجديد البابين الخشبيين في مدخل النوفرة واعيدت الزخارف النحاسية واكملت نواقصها ، وجرى تصليح الباب الكبير الوسطاني •

وفي عام ١٩٥٢ عملت تروس خشبية مزخرفة مع البثور الملون في قوس باب النوفرة ، وباب المسكية الكبيرين ، واعيد سقف القسم المنتهي اصلاحه من الرواق الشمالي وذلك من خشب مجدد ، ورصاص اعيد صبه مجددا مع الدهان الزيتي كالاصل ، واعيد الفسيفساء الى الاقواس الثلاثة • واعيد محراب مشهد الدخولية (الغزي) المتهدم من خيوط عربية رخامية كالسابق • واعيد اصلاح المشقف في محراب المالكي ضمن الحرم •

وفي عام ١٩٥٣ فكت الاقواس العلوية المزدوجة الثلاثة في الرواق الشرقي وجرى تبديل العمودين الصغيرين العاطلين ثم اعيدت الاقواس كالسابق تماما • ثم نزع كلسة الجدران في رواق مشهد الحسين من جهة الباحة واصلحت اماكن العطل المتعددة وصبت عتبات النوافذ بالاسمنت وجدد منجورها ، وجرى تبليط ارض مشهد الوضوء •

وفي عام ١٩٥٤ اكمل نزع كلس جدران الرواق والاقواس والغيت نهائيا واطهر الحجر الطبيعي بعد لقطه وتكحيل فواصله • ودهنت اسقف الاروقة بالدهان الزيتي ، وجدد باب العمارة الخشبي العاطل واعيد اليه زخرفة النحاس واكملت نواقصه • اصلحت عضادات الرواق الشمالي المنقوشة كالاصل ، وتم اصلاح مأذنة التوقيت بجانب منارة العروس ، وتم تبليط الباحة الخارجية امام مدخل النوفرة من رخام وحجر اسود وشعيرة حجرية ، وجددت نوازل المطرية من الجهة الشرقية من بواري حديد عوضا عن قساطل الفخار البالية وجرى تبديل عمود (الغرائث) الكبير المتصدع والمقيد بطوق حديدي بعمود آخر ثقل من جامع تنكز •

وفي عام ١٩٥٥ تم تبديل عمودين كبيرين عاطلين في الرواق الغربي بعمودين (غرانيت) كالذي تم في عام ١٩٥٤ سابقا احدهما اخذ من ارض الصحن والثاني جلب من اللاذقية وجددت القواعد الحجرية لهذه الاعمدة بعد تجديد الاساسات ، وتم اصلاح فسيفساء بعض اقواس الرواق الغربي واكملت نواقصه • واكمل بناء القسم العلوي من الزاوية الشمالية الغربية من الرواق • وجدد السقف الخشبي العاطل من مشهد الوضوء وصب البيتون المسلح بظهر السطح ، ودهن السقف الخشبي المذكور بدهان زياتي • وجددت ستة اعمدة صغيرة في القسم العلوي من الرواق •

وفي عام ١٩٥٦ تم اصلاح الرخام المشقف والمزخرف الكائن في العضادة الشمالية من باب البريد واكملت نواقصه • وتم تجديد نوازل المطرية في القسم الغربي عوضا عن السيالات الفخارية البالية • وتم تكليس واجهة باب البريد الخارجية • وتم تكحيل القسم الحجري بالاسمنت ، وتم تطبيق جفت الحرم جهة الصحن مع صب بيتون مسلح ودهان زياتي للجفت المذكور مع متابعة تصليح الفسيفساء العاطل •

وفي عام ١٩٥٧ فك الرخام المزخرف المشرف على السقوط والمشوه في جدران مدخل باب النوفرة الداخلية ، واعيد بصورة منسقة بعد ابعاد العاطل منه والاستعاضة بالرخام المجدد ، وتم فتح الباب الذي وجد مخفيا تحت الرخام القديم وهو باب صغير لجهة مقام الحسين • وتم تجديد البابين الجانبيين لمدخل باب البريد من خشب مجدّد ، واعيدت الزخارف النحاسية والنقوش الاثرية واكملت النواقص مجددا • وتم اصلاح وترميم السلالم الحجرية في المناور الثلاثة • وفكت الآيات القرآنية المنقوشة في الحجر في جدار الرواق الغربي واعيد تركيبها واكملت نواقصها مع المحافظة على وضعها الاثري • واصلحت قبة (الخزنة) الغربية مع تكحيلها بالاسمنت وترريقها بالكلس والمونة وصبت الواح رصاصية مجددة لسطوحها الخارجية •

وفي عام ١٩٥٨ تم متابعة اصلاح الفسيفساء العاطل في اقواس الرواق الغربي ، وتم اصلاح الباب الخشبي الاثري الكبير في مدخل باب البريد ، وبعد حذف العاطل منه من (خشب او نحاس) أعيد كما كان في السابق حيث اعيدت اليه الزخارف والنقوش والخيوط النحاسية وتم اصلاح مدخل الكلاسة ، وتم نصب السقايل في مدخل باب البريد وبوشر باصلاح الدهان الزيتي العربي المزخرف في سقف المدخل حيث قد غفى عليه الزمن وغطي بطبقة كثيفة احالت لونه حتى أصبح مكمدًا من جراء رشح مياه الامطار وتم متابعة فك اقسام الفسيفساء الآيل للسقوط في منطقة باب البريد القسم العلوي واعادتها بعد اكمال نواقصها كما كانت . وتم اصلاح خشب سقف منطقة مدخل باب البريد ، ووجد صب رصاص السطح ، وصبت مجاري مسلحة من اسمنت ، وعملت زريقة داخلية لسقف المدخل (زلخفة) سلخفة لمنع دلف المياه نهائيا وقد ابدل العمودان الصغيران في القسم العلوي في مدخل باب البريد .

وفي عام ١٩٥٩ متابعة في الدهان الزيتي لسقف باب البريد ، ومتابعة في اصلاح وترميم وأكمال فسيفساء المكان المذكور الآيل للسقوط .

واثناء سير العمل نفذت قطع الفسيفساء المتوفرة في الاموي والمجموعة في المستودع من بقايا القطع المتساقطة قديما من الجدران . وكادت ان تتوقف اعمال اصلاح الفسيفساء من جراء فقدان القطع (خرزات) ورغم التحري في المدينة عن امكانية صنعه حديثا ومخابرة الدول الغربية عن طريق مديرية الآثار لم تفلح المساعي ولم تؤد الى نتيجة مفيدة . فصممت مديرية الاوقاف انتاجه محليا بواسطة خبراء محليين ، وبعد جهود كبيرة تم انشاء معمل زجاجي صغير ، وانشئت ورشة فنية تمكنت من انتاج فسيفساء مجدد مماثل للقديم (البلور فقط) ولا تزال المساعي مستمرة

لاتنتاج فسيفساء من البلور المطلي بالذهب والفضة ، هذا وان قطع
الفسيفساء هي عبارة عن قطع بلورية خاصة الصنع ومختلفة الالوان
وقطع بلورية اخرى مطلية بالذهب والفضة وقطع رخامية ملونة ، ولا
يتجاوز قياس القطعة أي الخرزة ١×١ سم . وان المساعي التي تبذل
لاتنتاج جميع انواع الفسيفساء تبشر بالنجاح قريبا .

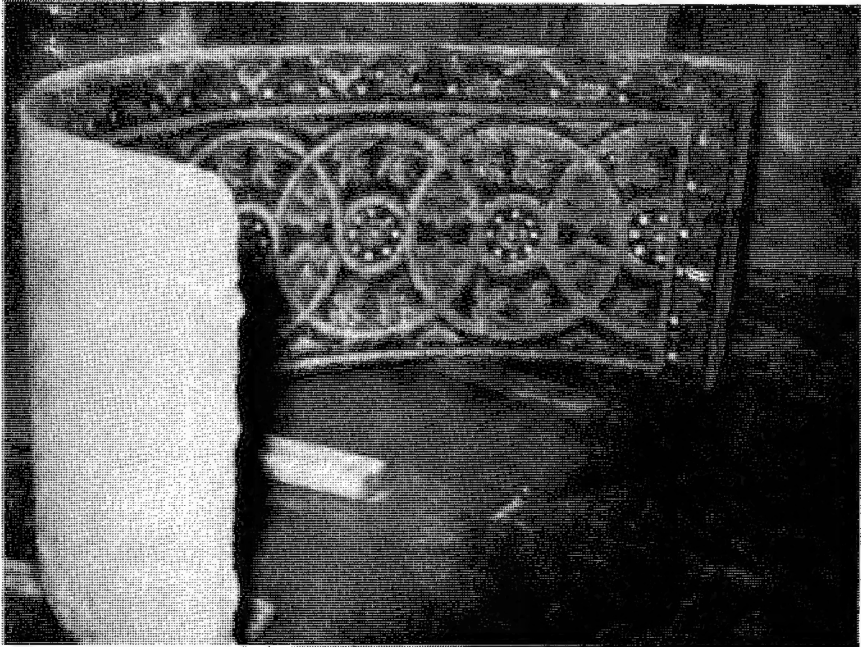
ومن الاعمال التي هي قيد العمل الآن توضيب وتحضير قواعد
واعدة قبة التوقيت لاعادتها لشكلها الاثري القديم وازالة الغلاف
الحجري التركي الذي انشئ حولها .

وختاما : يتضح من موجز الاعمال الجارية بان جامع الاموي كان
بحاجة لاصلاحات ضرورية جدا . خصوصا في القسم الشمالي منه ، أي
في الصحن والاروقة والمشاهد . وقد ازيل العطل والخطر من كافة
الجهات المتصدعة ، وبقي اجراء الاعمال المتممة والتي لم تعد تتعلق في
متانة البناء ، وأهمها اصلاح الفسيفساء في كافة انحاء الجامع واكثرها
ضرورة الموجود في باب السنجد ، واصلاح محاريب الحرم ، حيث
تضررت من الرطوبة . والسدة ودهانها الزيتي العجمي . وتبليط ارض
الصحن والاروقة وخلافها من الاعمال التكميلية كالرخارف الرخامية
والخشبية والجصية .

وتقدر تكاليف هذه الاعمال بمبلغ مليون ونصف المليون ليرة سورية
هذا عدا عن تكاليف مشروع تحرير حول الاموي الذي هو قيد الدراسة
لدى امانة العاصمة .



▲ من مناظر الفسيفساء ▼





العمال يجددون الفسيفساء

خاتمة

تبين أن حرائق الاموي كلها (الا الاخير منها) انما امتدت اليه من البيوت الملاصقة له ، التي تستر جماله ، وتخفي عظمته ، وتشوه منظره وتعرضه للخطر ، مع انه لا يتصل به الآن من جهة الحرم الا دكاكين واطية من الخشب واللبن ، لا تكلف ازالتها الا القليل ، هي دكاكين الحذائين في السوق الضيق (١) ودكاكين (القباقيية) التي توقد فيها النار طول النهار ، فاذا ازيلت انكشف سور الحرم كله ، وظهر الباب القبلي القديم . وهذا الاقتراح الاول .

الثاني — ان لكل باب من الابواب دهليزاً ، واكبرها ما كان من جهة النوفرة ، وقد كشف من سنين بالمصادفة ان درج النوفرة لم يبن على ارض حرة ، بل ان تحته قاعة مبنية ، فلو حول الطريق بعد ازالة دكاكين القباقيية ، حتى امتد موازيا للجدار القبلي ، وأزيلت ادراج النوفرة واطهرت هذه القاعة ، وجعل لها باب ليزورها السياح والناس ، لكان منها منفعة للدارس ومورد للدولة .

ولقد كان من الشائع ان تحت الاموي معبدا للصابئة ، ذكر ذلك ابن تيمية في بعض كتبه ، والصابئة قد تطلق على طوائف من الوثنيين كأصحاب المعبد الاول . فاذا امتد الحفر من تحت الدرج ، ظهر المعبد ، كما ظهر بالمصادفة ، من سنين ، ان تحت جامع بيروت جامعا آخر وان تحت كل عمود عمودا آخر .

الثالث — وهذا طلب بعيد الاجابة ، هو ان دمشق أقدم المدن المسكونة

(١) كلمة السوق مؤنثة ويجوز تذكيرها والدرج جمع درجة فهي مؤنثة ولكنني اتبعت الاستعمال الشائع .

اليوم على ظهر الارض ، لا خلاف في هذا ، وكلما حفر أرضها للبناء أو للمجاري ظهرت آثار مطمورة ، من أحدث ما ظهر منها الاعمدة التي كشف عنها في طريق الباب الشرقي ، وأخطأت دائرة الآثار فرفعتها فجعلتها فوق الارض ، مع ان الواجب تركها على العمق الذي ظهرت فيه ليتبين ما طراً على ارض المدينة من ارتفاع .

واذا كانت الحفريات قد أظهرت في مدينة بابل ثلاث مدن بعضها فوق بعض (رأيت ذلك بعيني) فان دمشق ان اقتطعت منطقة منها كالمنطقة التي بين نهاية ما فتح من شارع معاوية والباب الشرقي والسور الجنوبي واخليت واجريت فيها حفريات لظهرت ست مدن بعضها فوق بعض ، ولتغيرت دراسة التاريخ القديم ، ولكان من ذلك أعظم منطقة أثرية في العالم ، وكان لنا منه مورد مالي لا ينقطع ، ولوجدنا تحفا وكنوزا لا تقدر قيمتها .

ولبدأ الحفر من الخراب، ومعلوم ان هذه البقعة سميت بـ (الخراب) لانها تخربت على عهد تيمورلنك لا جزاء الله خيرا ، وانها تظهر صحن الدور القديمة وبركها ، بأقل حفر يكون فيها .

وتحت ذلك طبقات اسلامية ، ثم طبقة رومانية ، ثم طبقات الله اعلم بها .

والرابعة — ان يفتح من باب الاموي ، شارع مستقيم الى ظاهر البلد ، واقرب وسيلة الى ذلك ، هي شق الطريق من باب العمارة الى شارع بغداد وأكثره مفتوح والبيوت الباقية في طريقه من البيوت الرخيصة ، وفي فتحه نفع لتلك الاحياء ، وما يؤخذ من المالكين من (رسم الشرفية) يقوم بنفقات الفتح ويعطى ارباب البيوت المهدومة بدلا منها في المساكن الشعبية ، كما كان عند فتح شارع البصرة .

وأنا أشكر الاستاذ عبد الرحمن الطباع الأمين العام لوزارة الأوقاف
أن أشار بتأليف هذا الكتاب وللأستاذ ظهير الكزبري مفتشها العام أن أشرف
على إخراجه •

وأشكر الاستاذين عبد القادر العاني وحمد الحلي على ما أمداني
به من أخبار المسجد في عهده الأخير التي لم يدونها التاريخ •

وأشكر الاستاذين صلاح الدين المنجد ومحمد أحمد دهمان على
ما استفدته من مباحثهما ومنشوراتهما •

وأشكر الاستاذين عبد القادر الريحاوي مفتش الآثار وأبا الفرج
العش على نظرهما في الكتاب وعلى ما أبدياه من ملاحظات •

وأشكر كل من يتفضل فيدلني على نقص فيه أو يرشدني إلى خطأ
لا سيما في الأرقام التي لا آمن عليها التحريف عند الطبع •

والحمد لله من قبل ومن بعد •

حاشية : وقف الدكتور صلاح الدين المنجد على (ضبط التحقيق)
في حريق الأموي سنة ٧٤٠ محفوظ في جامعة ليدن ، قدم لها مقدمة
قيمة ونشرها في مجلة المجمع العلمي الجزء (١) المجلد (٣١) ثم أفرد لها
برسالة على حدة فليطلع عليها من شاء الوقوف على أسرارها •

من آثار المؤلف

أ - الكتب التي نفدت

- | | | | | | |
|-----|---------------------|---------|-----|-----------------------|---------|
| ١ - | في بلاد العرب | ١٩٣٩ م | ٥ - | رسائل سيف الاسلام | ١٣٤٩ هـ |
| ٢ - | من التاريخ الاسلامي | ١٩٣٩ م | ٦ - | الهيثميات | ١٣٤٩ هـ |
| ٣ - | رسائل الاصلاح | ١٣٤٨ هـ | ٧ - | عمر بن الخطاب (جزءان) | ١٣٥٢ هـ |
| ٤ - | بشارين برد | ١٣٤٨ هـ | ٧ - | في التحليل الأدبي | ١٣٥٣ هـ |
| | | | ٩ - | كتاب المحفوظات | ١٣٥٥ هـ |

ب - الكتب التي صدرت حديثاً

- | | | | | | |
|-----|-----------------------------|---------|------|-------------------------|--------|
| ١ - | أبو بكر الصديق (طبعة ثانية) | ١٣٧٢ هـ | ٨ - | مقالات في كلمات | ١٩٥٩ م |
| ٢ - | قصص من التاريخ | ١٩٥٧ م | ٩ - | سلسلة حكايات من التاريخ | ١٩٥٩ م |
| ٣ - | رجال من التاريخ | ١٩٥٧ م | ١٠ - | أخبار عمر | ١٩٦٠ م |
| ٤ - | صور وخواطر | ١٩٥٨ م | ١١ - | من حديث النفس | ١٩٦٠ م |
| ٥ - | قصص من الحياة | ١٩٥٩ م | ١٢ - | نفحات من الحرم | ١٩٦٠ م |
| ٦ - | في سبيل الاصلاح | ١٩٥٩ م | ١٣ - | هتاف المجد | ١٩٦٠ م |
| ٧ - | دمشق | ١٩٥٩ م | ١٤ - | الجامع الاموي | ١٩٦٠ م |

ج - تحت الطبع

- | | | | |
|-----|-----------------|-----|--------------------------------|
| ١ - | في اندونيسيا | ٤ - | مع الناس |
| ٢ - | فصول اسلامية | ٥ - | فكر ومباحث |
| ٣ - | في الهند والسند | ٦ - | صيد الخاطر لابن الجوزي (تحقيق) |

نصوب

وقعت أخطاء منها (المسلمون) في السطر (١٥) من
الصفحة (٤) صوابها (المسلمين) و (واولوا) في السطر
الاول من الصفحة (٤٩) صوابها (وأدلو) •